الفصل الثانى

الإســـلام التعـــددى

١- الإسلام المستنير.

٢- الإسلام العقلانى.

٣- الإسلام العلمى.

٤- الإسلام الإنسانى.

٥- الإسلام التقدمى.

٦- الإسلام الليبرالى.

٧- الإسلام الديموقراطى.

٨- الإسلام البرجماتى.

٩- الإسلام الإصلاحى.

١٠- الإسلام الاشتراكى.

١١- الإسلام الوطنى.

١٢- الإسلام القومى.

١٣- الإسلام الأممى.

١٤- الإسلام العلمانى.

١٥- اليسار الإسلامى، اعتراضات وردود.

١- الإسلام المستنير

وسط هذا الانتشار الواسع للإسلام "الأصولى" بفعل تركيز المستشرقين والقوى السياسية الغربية والذى يسمى أحيانا أخرى الإسلام السلفى أو الإسلام النصى، ومن خلال سيادة الإسلام المحافظ والذى يسمى أيضا الإسلام التقليدى المنغلق، ومن ثنايا الإسلام العنيف الرافض الذى وُصف بالإرهاب فى الخارج والداخل والذى أصبح ذريعة لغزو الشعوب من قوى الهيمنة والاستعمار الجديد كما حدث فى أفغانستان والعراق والشيشان وكشمير والصدام مع الحركات الإسلامية فى الداخل فى المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر وسوريا، وسط هذا الركام كله يبرز الإسلام المستنير كإسلام مغاير، يدعو إلى الحوار الوطنى وبناء الجسور مع التيارات المتنازعة، وبدأ الحوار بين الدولة وخصومها بدلا من الاستقطاب الحالى الذى أصبح يهدد وحدة الأوطان ويدفعها إلى حروب أهلية بين الإخوة الأعداء. مهمته إزالة الاستقطاب بين الدولة وخصومها الإسلاميين وإنهاء العنف المتبادل بينهما، ليس فقط عن طريق التائبين والمراجعين، توبة الجماعات داخل السجون ومراجعاتهم العلنية لمواقفهم السابقة، وليس أيضا عن طريق إدماجهم فى الحياة الاجتماعية والسياسية ولو عن طريق الاحتمال بل عن طريق إقامة حوار فعلى ضمن الحوار الوطنى من أجل مصالحة تاريخية بين الدولة وخصومها، وإعادة ترتيب البيت من الداخل من أجل إقامة جبهة أو ائتلاف وطنى عريض ضد المخاطر الخارجية، وأقلها الغزو المباشر من الخارج لتخليص المنطقة من النظم التسلطية حتى ولو على أسنة الرماح كما حدث فى العراق من أجل إقامة نظم حرة

وديموقراطية، وحماية الجبهة الداخلية من شق الصف الوطنى دون انفراد الحزب الحاكم بالسلطة، وضرورة المشاركة السياسية للجميع. مهمته أيضا تحقيق حوار وطنى بين مختلف القوى والأحزاب السياسية فى البلاد دون هذا الخصام المفتعل بين الإسلاميين والعلمانيين، صراعا على السلطة إذا ما ضعفت الدولة، وعجزت اختياراتها السياسية عن تحقيق الاستقلال الوطنى ومصالح الشعوب، بدلا من أن تقوم الدولة بالتخلص من الإسلاميين باستعمال العلمانيين مرة أو بإزاحة العلمانيين باستعمال الإسلاميين مرة أخرى حتى يضعف الجناحان الوريثان للنظام القائم.

مهمة الإسلام المستنير أيضا إفراز نوع من التعددية الفكرية والسياسية داخل الحركات الإسلامية والتيارات العلمانية على حد سواء. فالإسلاميون ليسوا تيارا واحدا. بهم وسط ويسار ويمين. وبهم صراع بين الرعيل الأول والأجيال التالية. الحوار الداخلى بين الأجنحة داخل كل تيار يقرب التيارات بعضها من بعض الآخر. والعلمانيون ليسوا تيارا واحدا. فهناك علمانيون يقبلون الإسلام الليبرالى والوطنى والعقلانى والتقدمى والاشتراكى.

والإسلام المستنير ليس تيارا واحدا بل تتعدد تياراته وأسماؤه. فهو الإسلام الإصلاحى أو العقلانى، سليل الأفغانى ومحمد عبده وقاسم أمين ومصطفى عبد الرازق وطه حسين ومحمد حسين هيكل والعقاد. وهو الإسلام الليبرالى الديموقراطى أو حتى العلمانى عند على عبد الرازق وخالد محمد خالد. وهو الإسلام التقدمى الاشتراكى الإنسانى عند مصطفى السباعى وسيد قطب الأول صاحب "العدالة الاجتماعية فى الإسلام" و"معركة الإسلام والرأسمالية" و"السلام العالمى والإسلام" قبل أن يكتب "معالم فى الطريق" تحت تأثير التعذيب فى غياهب السجن، وعند عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد عباس صالح وغيرهم من الأجيال الجديدة الذين

ضاقوا ذرعا بالتفاوت الشديد بين الأغنياء والفقراء، وهو ما يتعارض مع مبادئ الإسلام ومُثله ونماذجه الأولى. وهو "اليسار الإسلامى" الذى يعيد فهم الإسلام بناء على تحديات العصر السبعة الرئيسية: استكمال حركة التحرر الوطنى فى فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير وسبته ومليليه، تحرير المواطن من كل صنوف القهر الدينى والسياسى والاجتماعى، تحقيق العدالة الاجتماعية بدلا من هذا التفاوت الشديد بين الأغنياء والفقراء، إقامة وحدة الأمة عن طريق التجمعات الإقليمية العربية والإسلامية ضد مخاطر التفتيت والتجزئة العرقية والطائفية والتى بدت فى العراق وتهدد الخليج ولبنان واليمن والسعودية وسوريا والمغرب العربى ومصر ذاتها كى تبقى إسرائيل أكبر دولة عرقية طائفية تأخذ شرعية جديدة من طبيعة الجغرافيا السياسية فى المنطقة، والتنمية المستقلة المتكاملة لما تتمتع به المنطقة من رؤوس أموال وطاقة وأسواق وعقول للتخطيط، الدفاع عن الهوية الوطنية ضد مخاطر التغريب والهويات العرقية والطائفية الزائفة، وأخيرا حشد الناس لإشراكهم فى العمل الوطنى التاريخى بدلا من تهميشهم لصالح الأبطال التاريخيين ونظم حكم الفرد المطلق.

وهو الإسلام التعددى الذى لا يحتكر الرأى ويسمح بأكبر قدر ممكن من الاختلاف الذى هو حق شرعى. فالكل راد والكل مردود عليه. ولا توجد فرقة ناجية واحدة فى الجنة وباقى الفرق ضالة هالكة فى النار. والصواب متعدد وليس فى صالح فريق دون فريق. يحيى التعددية القديمة التى كانت وراء الحضارة الإسلامية فى عصرها الذهبى، فرق كلامية، مذاهب فقهية، طرق صوفية، تيارات فلسفية، اتجاهات تفسيرية، مناهج للرواية وطرق للدراية بدلا من أن يزهو الغرب علينا بأنه هو الذى أعطى العالم قيم التعددية.

وأخيرا، هو الإسلام الواقعى الذى يبدأ من مصالح الناس وما تعم به البلوى، وما يمس كل مواطن، وتتأثر به كل أسرة. هو الإسلام الذى يعطى الأولوية للمصالح العامة على النصوص كما تفعل المالكية اعتمادا على الاجتهاد فى صوره المتعددة من قياس واستصلاح واستحسان واستصحاب ومصالح مرسلة. هو إسلام عمر بن الخطاب الذى يوقف حد السرقة عام المجاعة، ويوقف توزيع أرض السواد فى العراق على المحاربين حتى لا يستوطنوا ويتركوا الجهاد فى سبيل الله. هو الإسلام الذى لا يخشى فى الله لومة لائم. يجهر بالحق، فالساكت عن الحق شيطان أخرس **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾**.

٢- الإسلام العقلانى

الإسلام المستنير هو الإسلام الذى يقوم على العقل. فالعقلانية شرط الاستنارة. لذلك سمى فلاسفة الغرب مثل ديكارت العقل بالنور الطبيعى.

والعقلانية حاجة للعصر الذى سادته الخرافة، وطغى عليه السحر. وأصبحت دوافعه على السلوك الأهواء والانفعالات والرغبات والمصالح الشخصية، وليس التحليل العقلى الهادئ الرصين.. يعتمد على السلطة وليس على البرهان، سلطة النص الدينى أو السياسى أو الاجتماعى أو الثقافى كما تبدو فى نصوص القدماء، وأقوال الرؤساء، وأوامر الآباء، والقواعد البيروقراطية، والأمثال العامية. فاتسم السلوك بالطاعة العمياء، والتبعية المطلقة، والتقليد الأعمى، بلا اقتناع داخلى أو إيمان قلبى أو تصديق. فازدوجت الشخصية، بين طاعة ظاهرية ورفض باطنى. وأصبح النفاق، انفصام الخارج عن الداخل، هى السمة المميزة للسلوك فى الحياة اليومية كما يظهر ذلك فى لغة المداهنة والتقرب لقضاء الحاجات. وعم المديح الخطاب القومى.

وهو ضرورة عصرية نظرا لأن حضارة العصر هى حضارة العقل. فقد قامت الحضارة الغربية الحديثة على العقل ضد سلطة الكنيسة وبطليموس وأرسطو. وبدأت بشعار "أنا أفكر فأنا إذن موجود". وكما تعاملت الحضارة الإسلامية فى فترتها الأولى مع حضارة اليونان وهى حضارة العقل وأنتجت الفلسفة الإسلامية كذلك تتعامل الحضارة الإسلامية الآن مع الحضارة الغربية لتنتج الإسلام العقلانى المستنير.

وليس العلمانيون وحدهم هم الذين ينهلون من العقلانية الغربية تقليدا لها وترويجا لثقافتها، وتبعية لحضارتها لمعاداة الحركة الإسلامية، وإيجاد البديل عنها فى التنوير الحكومى الذى تروج له أجهزة الدولة الثقافية والإعلامية والتعليمية بل أيضا الإسلام العقلانى الذى يرشّد الحركات الإسلامية وينقلها من الإطار السلفى إلى الإطار الحديث، ويأخذ موقفا نقديا من العقلانية الغربية الصورية، ثم ينقلب عليها العلمانيون كما انقلب عليها الغرب نفسه بدعوى نقد الحداثة وللإعداد لمرحلة ما بعد الحداثة، والتحول من التحليل إلى التفكيك، ومن الفكر إلى الكتابة، ومن المعنى إلى اللفظ، الكتابة فى درجة الصفر، وموت المؤلف.

والإسلام العقلانى ليس غريبا على تراثنا القديم أو تقليدا للغرب الحديث بل هو جوهر الحضارة القديمة وركيزتها الأولى. فقد قامت العلوم الإسلامية الأولى على العقل. وتم تصنيفها طبقا لها إلى علوم نقلية عقلية تجمع بين العقل والنقل، وعلوم عقلية خالصة تعتمد على العقل وحده، فى مقابل العلوم النقلية الخالصة التى تعتمد على النقل وحده.

فمن العلوم النقلية العقلية علم أصول الدين أو علم العقائد أو علم الكلام الذى قام على العقل مع النقل فى معترك الحياة السياسية. جعل المعتزلة العقل أساس النقل. فالأشياء حسنة وقبيحة فى ذاتها. حسنة كالكرم والإحسان ومعاونة الضعيف، وقبيحة كالقتل والظلم والعدوان. والشرع مؤيد لحكم العقل وليس بادئا أو نقيضا له. والنظر أول الواجبات. والعقل شرط التكليف. كما أثبت المعتزلة الواجبات العقلية مثل التكليف، وشكر المنعم. وأولوا النص طبقا للعقل حماية للتوحيد من الوقوع فى التجسيم والتشبيه ودفاعا عن التنزيه. والعقل هو أول ما خلق الله طبقا للحديث القدسى "أول ما خلق الله خلق العقل". واعتبر الأشاعرة،

وهم جمهور أهل السنة الآن، أن استعمال العقل ثابت بالنص لكثرة ما استعمل القرآن آيات مثل ﴿أفلا تعقلون﴾، ﴿أفلا تفكّرون﴾، ﴿صم بكم عمى فهم لا يعقلون﴾.

كما اعتمد الفلاسفة على العقل. فالإنسان حيوان ناطق كما هو الحال عند اليونان. وهناك عقول متعددة. الله هو العقل الأول، عقل وعاقل ومعقول. والأفلاك عقول، والعلم فيض من العقل الفعال إلى العقل بالملكة والعقل المستفاد والعقل بالقوة كى يصبح عقلا بالفعل. وفى رواية رمزية "حى بن يقظان" الطفل الذى نشأ فى جزيرة ولم يسمع وحيا أو بلغته رسالة أو نبوة استطاع بعقله الطبيعى أن يصل إلى كل ما أنزل إلى الأنبياء: الله موجود، والعالم مخلوق، والنفس خالدة، تثاب وتعاقب لأفعالها وقانون الاستحقاق ﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾. فالعقل والوحى طريقان للمعرفة، الأول طريق الفيلسوف، والثانى وحى النبى. وحّد الكندى بين الفلسفة والدين. وجعل الفارابى رئيس المدينة الفاضلة الفيلسوف أو النبى. والشريعة عند إخوان الصفا تقوم على العقل. والحكمة عند ابن رشد النظر بما تقتضيه صناعة البرهان. وهو واجب بالشرع.

ودليل العقل عند الأصوليون أو القياس أو الاجتهاد هو أصل من أصول التشريع. بل إن التصوف الذى عُرف عنه أنه مع الذوق والكشف والمعاينة يقوم التصوف النظرى على العقل بحيث أصبح حكمة إلهية كما هو الحال عند ابن عربى وابن سبعين. وأقام السهروردى منطقا إشراقيا ذوقيا فى مقابل المنطق الصورى اليونانى وحاول ابن سينا إقامة منطق للمشرقيين فى مقابل المنطق الأرسطى.

والعلوم النقلية بالرغم من اعتمادها على النقل تقوم أيضا على بعض الجوانب العقلية. والأدلة النقلية حتى لو تضافرت لإثبات شىء أنه صحيح ما أثبتته، ولظل ظنيا، ولا يتحول إلى يقين إلا بحجة عقلية ولو واحدة كما عبر عن ذلك

الأيجى فى "المواقف". وهو أشعرى يمثل عقائد أهل السنة ونظريتهم فى المعرفة. فالاتفاق مع العقل أحد شروط الخبر المتواتر. والتفسير العقلانى مثل تفسير الزمخشرى أحد التيارات الرئيسية فى علم التفسير. والسيرة المعاصرة عند طه حسين والعقاد ومحمد حسين هيكل تقوم على العقل بعيدا عن الأساطير القديمة المنتشرة عند أهل الكتاب فى سير الأنبياء. وفى الفقه البلوغ هو العقل، والعقل مناط التكليف.

والعلوم الرياضية تقوم على العقل مثل الحساب والهندسة والجبر والموسيقى والفلك. وقد أبدع فيها المسلمون بالرغم من أن النقل هو مركز الحضارة الإسلامية ومنشؤها الأول. ومازال الإبداع الرياضى القديم أحد الروافد الأساسية فى العلوم الرياضية المعاصرة.

وقامت الحركات الإصلاحية المعاصرة على العقل كما فعل محمد عبده فى "رسالة التوحيد". فهو أشعرى فى التوحيد، معتزلى فى العدل. بل إن العقل أصبح دعامة النهضة العربية الحديثة عند الطهطاوى.

ومن ثم فإن الإسلام المستنير له رصيده عند القدماء والمحدثين. وهو استئناف للجوانب العقلانية فى تراثنا القديم والتراث الغربى الحديث فى مرحلة جديدة من مراحل تطور الحضارة الإسلامية.

٣- الإسلام العلمى

الإسلام "العلمى" هو أحد مسميات اليسار الإسلامى فى مقابل الخرافى والأسطورى. ولا يعنى العلم هنا العلم الطبيعى المتغير طبقا لتصورات العلم وكيفية تطبيقها فى التقنية الحديثة والمتجددة باستمرار. إنما يعنى الإسلام الطبيعى الذى يتفق مع معطيات الطبيعة العامة وليست الميتافيزيقا المغرقة فى النظريات والمجردات والتأملات باسم الدين. وهو أيضا الإسلام الواقعى المتفق مع مقتضيات الواقع. الإسلام الممكن وليس المستحيل كما قال محمد عبده من قبل فى "رسالة التوحيد" أن الوحى ممكن الوقوع. لذلك انتشر الإسلام بسرعة لم يشهد التاريخ بمثلها لواقعيته وسهولته وطبيعيته. ولفظ "الواقع" لفظ قرآنى. فالدين واقع **﴿وإن هذا الدين لواقع﴾**. والعذاب واقع **﴿إن عذاب ربك لواقع﴾**. والوعد واقع **﴿وإنما توعدون به لواقع﴾**. وإذا كان الوعد واقعا. فالوعد صادق **﴿إنما توعدون لصادق﴾**. وهو الإسلام الذى يبدأ بعالم الشهادة. ويعتمد على الحس والمشاهدة وشهادة الحواس الذى اعتمدها القرآن فى البرهان. العين للبصر. والآذان للسمع ضد الأوهام والخيالات. وبعيداً عن الغيبيات السمعية التى تخرج عن دائرة البرهان العقلى. وهو الجانب الذى تضخم فى العقود الأخيرة لصعوبة رؤية الواقع والشهادة عليه. واستسهال الإغراق فى الغيب الذى لا يمكن السيطرة عليه. وهو أيضا الإسلام الذى يقوم على المضمون وليس على الشكل "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". فالشعائر مضمون قبل أن تكون صورة. الشهادة تحرر وجدانى بفعلى النفى والإثبات فى "لا اله إلا الله" قبل أن تكون تمتمة بالشفتين. والصلاة

تنهى عن الفحشاء والمنكر قبل أن تكون حركات وسكنات. والصيام إحساس بالفقراء قبل أن يكون إمساكا عن الطعام والشراب فى وقت معلوم. والزكاة مشاركة الفقراء فى أموال الأغنياء قبل أن تكون ضريبة كمية. والحج توجه القلب نحو هدف واحد قبل أن يكون شعائر. سعيا وإفاضة وطوافا وهديا ورميا بالجمرات. ولو أن لفظ "مادى" كان له معنى تداوليا إيجابياً لأمكن استعماله. حينئذ يعنى الإسلام المادى الاهتمام بحياة الناس وسعادتهم فى الدنيا، بأرزاقهم ومعاشهم وتعليمهم وصحتهم وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية فى مقابل الإسلام الكهنوتى المنغلق الذى حول الدين إلى بضاعة وتجارة وتكسب ورزق ومعاش خاصة فى القنوات الفضائية.

وإذا كان اليسار الإسلامى إسلاما عقلانيا فمن الطبيعى أن يكون إسلاما طبيعيا. فالعقل والطبيعة هما الركيزتان الرئيسيتان للوحى. فالنص له دعاماتان. الأولى فى العقل والفكر والنظر والبرهان. والثانى فى الطبيعة والواقع وحياة الناس. الأول فى السماء، والثانى فى الأرض. والا يتحول الوحى إلى مجرد عقائد وشعائر مغلقة على نفسها. بلا دليل يؤيدها أو واقع يتحقق فيه.

وقد ظهر هذا البعد فى النص نفسه فى أسباب النزول. كل حكم له سبب فى الواقع. الواقع يسأل، والوحى يجيب. **﴿ويسألونك عن الأهلة﴾**. **﴿ويسألونك عن المحيض﴾**. **﴿ويسألونك عن الأنفال﴾**. **﴿ويسألونك عن الخمر﴾**. ويجيب الوحى **﴿قل﴾**. وكل الإجابات تدل على جلب المنفعة ودفع الضرر. السؤال نظرى، والإجابة عملية. وكما تعنى أسباب النزول أولوية الواقع على النص فإن "الناسخ والمنسوخ" يعنى أولوية الزمان على الحكم، وتطور الزمان على ثبات الحكم. فالمكان والزمان بعدان للواقع. ولا يوجد وحى إلا فى الزمان والمكان. يتكيف الوحى طبقا لتطور الزمان والتدريج فى التغير الاجتماعى.

وقد ظهر هذا الجانب فى كل العلوم الإسلامية القديمة. ظهر فى علم العقائد وهو علم أصول الدين أو علم التوحيد فى جعل التفكير فى الطبيعة سابقا على التفكير فيما بعد الطبيعة. ولا يمكن التفكير فى الذات والصفات والأفعال إلا بعد إثباتها عن طريق الجوهر والأعراض. ولا فرق بين صفات الإنسان الكامل والإنسان المتعين. وإذا كان التوحيد خاصا بالله فإن العدل خاص بالإنسان. وإذا شمل التوحيد الذات والصفات فإن العدل يتضمن العقل والحرية. والإيمان والعمل والإقرار ظهور للتوحيد فى سلوك الإنسان. والإمامة تحقق التوحيد فى المجتمع والدولة والتاريخ.

وفى علوم الحكمة وهى العلوم الفلسفية، الطبيعيات أيضا سابقة على ا لإلهيات كما سبق المنطق أى العقل الطبيعيات. فدون النظر إلى الطبيعة لا يمكن الدخول فيما بعد الطبيعة. العالم دليل على الله . وليس الله دليلا على العالم. والفكر العلمى فكر استقرائى صاعد، وليس فكرا استنباطيا نازلا , من الجزئى إلى الكلى وهو أمر مستغرب , وليس من الكلى إلى الجزئى كما هو شائع. بل إن علوم التصوف أيضا أكدت على أهمية الواقع والطبيعة فيما سمته الوجود. فالحق لا يفهم بعيدا عن الخلق. ويروون الحديث القدسى "كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبه عرفونى البعض" سمى الحلاج ذلك الحلول أو الأتحاد. والبعض الآخر مثل ابن الفارض سماه وحدة الشهود، ألا يرى فى العالم إلا الله. وفريق ثالث وعلى رأسهم ابن عربى سماه وحدة الوجود. فالإنسان فى العالم. والفناء بقاء.

وقد ظهر الواقع على خير ما يكون فى التعليل فى علم أصول الفقه. فكل الأحكام الشرعية معللة. والعلة هى سبب التحليل أو التحريم. وهى العلة المادية، درء المفاسد وجلب المصالح. وهى لا تعرف إلا بالمناهج التجريبية التى سماها

القدماء "السبر والتقسيم". فالسكر المادى علة تحريم الخمر. وعدم اختلاط الأنساب علة تحريم الزنا. وقد سمى بعض الأصوليون المصدر الرابع من مصادر التشريع إما دليل العقل أو القياس أو الاجتهاد تأكيدا على علة الأصل المستنبطة من النص أو الاستصلاح والاستصحاب والمصالح المرسلة تأكيدا على علة الفرع المستقراة من الأجزاء. والرخص فى مقابل العزائم، والضرورات تبيح المحظورات، والعادة محكمة، كل ذلك كاشف عن وجود الواقع فى طرق الاستدلال واستنباط الأحكام.

العلم هو العلم النافع، ما يمس حياة الناس "أعوذ بالله من علم لا ينفع". وهو العلم الذى يبقى ويؤثر فى الأرض **﴿أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض﴾**.

الواقعية أو العلمية أو الطبيعية أو البرجماتية ليست قصرا على الغرب وحده بل هى نزعة فى كل حضارة شرقية، صينية أو هندية أو مصرية قديمة أو بابلية أو آشورية أو كنعانية. "فى البدء كانت الكلمة" ولكن الكلمة هى الفعل **﴿كن فيكون﴾**. وقد أوضح ذلك جوته بقوله "فى البداية كان الفعل" وهو ما أبرزه القرآن أيضا فى عدة آيات **﴿وقل اعملوا﴾**، **﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل﴾**. وقد استولى محمد الفاتح على القسطنطينية والنصارى تتناقش فى طبيعة السيد المسيح إلها أم إنسانا. وعندما سئل الرسول متى الساعة أجاب "فاستعد لها".

٤- الإسلام الإنسانى

وأحد أشكال اليسار الإسلامى هو الإسلام "الإنسانى" أى الإسلام الذى يجعل الإنسان محوره وهدفه، وليس الإسلام السلطانى أو الفقهى أو العقائدى أو الشعائرى. فقد خاطب الله الإنسان بالوحى، وجعله خليفته فى الأرض، والأمين على الرسالة التى اختارها بحرية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾. فالإنسان هو كليم الله وليس فقط موسى، وخليل الله وليس فقط إبراهيم، وروح الله وكلمة منه وليس فقط عيسى، والمبلغ لرسالات الله وليس فقط الرسول. لأجله خلقت السماوات والأرض والشمس والقمر، والجبال والبحار، والطير والزرع، والماء والهواء.

ومع ذلك اتُّهم الإسلام بأنه ضد حقوق الإنسان لأنه يعطى الأولوية للحاكم على المحكوم، وللسلطان على الناس، ولتطبيق الشريعة على جسد الإنسان ببتر الأعضاء وهى جزء من حقوق الإنسان. وأشد ملف قسوة من ملفات حقوق الإنسان هو الملف العربى الإسلامى طبقا للتقارير السنوية لمنظمة العفو الدولية. المعتقلون بعشرات الآلاف تحت التعذيب طبقا لقانون الطوارئ أو صيغته الجديدة باسم مكافحة الإرهاب أو قانون حماية الوحدة الوطنية أو قانون العيب إلى آخر هذه التسميات الفضفاضة التى تعنى شيئا واحدا هو خرق حقوق الإنسان الطبيعية والمدنية. بل إن معتقلى جوانتنامو يُرسلون إلى الأقطار العربية ليعذبوا فى بلادهم بدلا من تعذيبهم بأمريكا مما يضع الإدارة الأمريكية تحت المساءلة.

كما ادعى الغرب أنه وحده هو الذى أصدر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان مرتين، الأولى أثناء الثورة الفرنسية، والثانية بعد الحرب العالمية الثانية. فى حين أن الحضارات الأخرى لم تعرف إلا حقوق الله وحقوق السلطان. فى الغرب وحده قامت النزعة الإنسانية منذ القرن السادس عشر. وعليها قامت النهضة الغربية الحديثة. ويضرب المثل بالعقائد. فى المسيحية يموت الله من أجل الإنسان. وفى الإسلام يموت الإنسان من أجل الله.

والإنسان مذكور فى القرآن الكريم خمسا وستين مرة، عن أصله وسماته الهشة وأعدائه. ومذكور أيضا حريته ومسئوليته ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾، وبره بالوالدين، وعظمته بما يتمنى ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾، ويسعى ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى﴾، وعلمه ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، ﴿عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. وهو فى أحسن تقويم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾. والإنسان اشتقاقا من الأنس والألفة والمحبة. والإنس وهم البشر فى مقابل الجن والملائكة، وليس من النسيان كما قال أحد الشعراء.

وقد ظهر الإنسان فى العلوم الإسلامية العقلية النقلية القديمة. ظهر فى علم أصول الدين وعلوم التصوف فى صورة "الإنسان الكامل". فقد خلق الله الإنسان على صورته ومثاله. والصفات، العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام والإرادة، مشتركة بين الإنسان والله، فى الإنسان على نحو نسبى، وفى الله على نحو مطلق. فى الإنسان على الحقيقة وفى الله على المجاز قياسا للغائب على الشاهد، أو فى الله بحقيقة وفى الإنسان تواضعا من الإنسان أن يؤثر الله بالحقيقة ويكتفى هو بالمجاز والأسماء الإلهية التسعة وتسعون مجموعة من القيم والفضائل الإنسانية يتحلى بها كى يصبح إنسانا كاملا. و"الإنسان الكامل" عند الجيلى هو الإنسان الذى تشبه بصفات الله وأسمائه.

وإذا كان الإنسان من حيث هو إنسان قد غاب فى علوم الحكمة إلا أنه كان حاضرا كنفس أو عقل خاصة عند إخوان الصفا الذين جعلوا الحكمة ليست فقط ثلاثية: منطق، وطبيعيات، وإلهيات بل رباعية بإضافة العلوم النفسانية والناموسية أى علمى النفس من ناحية والاجتماع والسياسة والقانون من ناحية أخرى.

كما حضرت حقوق الإنسان بوضوح فى مقاصد الشريعة فى علم أصول الفقه، فى الضروريات الخمس: الدفاع عن النفس أى الحياة ضد الجوع والفقر والمرض والحروب، والدفاع عن العقل ضد الجهل والغباء والسفه والخبل، فالحياة هى الحياة العاقلة، والدفاع عن الدين أى القيمة التى يشارك فيها الجميع، المعيار الخلقى الشامل ضد النسبية والمعيار المزدوج والأنانية وتغليب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، والدفاع عن العرض أى الكرامة الفردية والجماعية ضد جميع انتهاكات حقوق الإنسان، وأخيرا الدفاع عن المال أى الثروة الوطنية ضد التبذير والسفه والاستغلال والاحتكار وسوء توزيع الثروة.

ومازال الفكر العربى الإسلامى المعاصر يصارع من أجل إبراز حقوق الإنسان، ليس فقط عن طريق القراءات الإسلامية المتعددة لمواثيق حقوق الإنسان الدولية ولكن أيضا عن طريق تأصيل حقوق الإنسان فى التراث القديم الذى مازال يؤكد على حقوق الله وواجبات الإنسان كما هو الحال عند محمد بن عبد الوهاب فى "كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد". فى حين أن المعتزلة القدماء تكلموا عن الواجبات العقلية مثل الخلق والتكليف وشكر المنعم. التوازن بين الحقوق والواجبات ضرورى. لا حقوق بلا واجبات، ولا واجبات بلا حقوق. فى الحضارة الغربية فى العلاقات الدولية حقوق بلا واجبات، وفى الحضارة الإسلامية فى العلاقات السياسية واجبات دون حقوق.

الإسلام الإنسانى إذن يجعل الإنسان هو الهدف الرئيسى من الرسالة، دفاعا عن حقوقه، وتأكيدا لسلطانه وحريته. بدنه جزء من الحقوق، يداه ورجلاه ورقبته وحريته فى القول والتعبير جزء من الحقوق ضد حرية الرأى وتكميم الأفواه وتقييد الحركة فى السجون والمعتقلات. الإسلام الإنسانى ضد الإسلامى السلطانى الذى يضحى بالإنسان فى سبيل السلطان وضد الإسلام الردعى اعتمادا على درء الحدود بالشبهات.

حينئذٍ يستطيع الإسلام أن يدفع عن نفسه الشبهات ويدافع عن إنسانيته فى مواجهة تحديات العصر.

٥- الإسلام التقدمى

والإسلام "التقدمى" أحد أشكال اليسار الإسلامى وتعبيراته المختلفة مثل الإسلام العقلانى أو الإسلام العلمى. ويعنى الإسلام الذى يساهم فى صنع التقدم للشعوب، إسلامية أو غيرها. فالتقدم فى حد ذاته فضيلة. وهو مذكور فى القرآن لفظا ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾. ونفس المعنى فى لفظ السبق ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾. وفى القرآن نقد شديد للتخلف ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾، وللمتخلفين من الأعراب ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾، وللخوالف ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾، وللقاعدين ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾.

والغرب يزهو علينا وعلى باقى الحضارات أنه وحده حضارة التقدم، وأنه قد أغنى الحضارات البشرية بمفهومى التقدم والتاريخ والأمل فى المستقبل. وصاغ لذلك "فلسفة التاريخ"، تُعنى بالتقدم وباكتشاف قوانينه. فوقع فى العنصرية والمركزية الأوروبية. فالتقدم يبدأ منه عند اليونان والرومان، وينتهى إليه فى الغرب الحديث. فى حين انشغلت الحضارات الأخرى بالخلود، بكل الزمان. وصنف غيره ضمن الشعوب "المتخلفة". تئن من ثقل الماضى دون أن تتحرر منه إلى المستقبل. ربط الإسلام بمظاهر التخلف مثل القهر والاستبداد والعنف وخرق حقوق الإنسان والمواطن والمرأة والأقليات.

ولفظ "تقدم" من فعل "قدم" يعنى قديم وتقدم فى آن واحد. أخذت الثقافة الموروثة أحد المعنيين وهو القديم كمعنى تداولى دون المعنى الثانى وهو التقدم فغاب

المفهوم من ثقافتنا المعاصرة ومن خططنا ومن سلوكنا اليومى. هنا تأتى أهمية اليسار الإسلامى فى إعادة بناء الثقافة الموروثة بعد أن أصبحت هى الرافد الرئيسى المكون للثقافة الوطنية.

ليس التقدم جوهرا ثابتا وقيمة مطلقة تخص شعبا دون شعب إلى الأبد. بل هى سمة توجد فى شعب وحضارة فى لحظة تاريخية معينة. كانت الحضارة الإسلامية فى عصرها الذهبى، القرون السبعة الأولى، حضارة تقوم على العقل والعلم، وتهدف إلى التقدم وتأسيس العمران. وكانت أوروبا فى العصر الوسيط المتزامن مع عصرنا الذهبى متخلفة فى العلوم والآداب. ثم انقلبت الآية. فأصبحنا نحن فى العصر المملوكى العثمانى فى القرون السبعة الأخيرة نموذجا للحضارة المتخلفة الناقلة لعلومها الماضية والمقلدة لتراثها السابق، الشارحة والملخصة له. وأصبحت أوروبا فى عصورها الحديثة نموذج الحضارة المتقدمة ورائدا للحداثة والتحديث.

ليس إذن التقدم غريبا على الحضارة والشعوب العربية والإسلامية. ظهر المفهوم فى العلوم الإسلامية النقلية العقلية القديمة، أصول الدين وأصول الفقه وعلوم الحكمة والتصوف.

ففى علم أصول الدين تساءل العلماء عن مستويات التقدم ورتبه هل هو بالزمان، تقدم الأب على الابن، أو بالمكان، تقدم القائد الصفوف، أم بالشرف، تقدم الأنبياء على سائر البشر؟ كما ظهر التقدم فى الماضى فى النبوة وتوالى الأنبياء من آدم حتى محمد. ويستمر التقدم فى المعاد فى استمرار الحياة بعد الموت. ثم ينهار التقدم فى إمامة المفضول بالرغم من وجود الأفضل، وتوالى الانهيار فى الأجيال جيلا وراء جيل "خير القرون قرنى ثم الذى يلونه"، "الخلافة من بعدى ثلاثون سنة

تتحول بعدها إلى ملك عضود". ثم يأتى المهدى ليرفع الأمة من هذا الانهيار ويخلصها من طول قهر وظلم، ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

وفى علم أصول الفقه ظهر التقدم فى العلاقة بين المصادر الشرعية الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، من نص الوحى الأول إلى نص الرسول إلى قرار الإجماع إلى فتوى القياس. بل إن التقدم داخل فى كل أصل. فى القرآن فى الناسخ والمنسوخ، وتغير الحكم الشرعى بتغير الزمان، وقياسه على مقدار القدرة والأهلية والطاقة. والتقدم فى السنة من المرحلة المكية إلى المرحلة المدنية. والتقدم فى الإجماع. كل إجماع ملزم لعصره. وإجماع العصر السابق ليس ملزما لهذا العصر. وإجماع هذا العصر ليس ملزما للعصر القادم نظرا لتغير الظروف.

وفى علوم الحكمة وفى علوم التصوف ظهر التقدم على مستوى رأسى وليس أفقيا، التقدم الروحى، والصعود إلى الحق إشراقا أو النزول منه فيضا. فالتقدم فى الحكمة رقى فى الدرجة من أسفل إلى أعلى، من العقل الإنسانى، المستفاد أو بالملكة إلى العقل الفعال أو فيضا من العقل الفعال على العقل بالقوة وهو العقل الإنسانى. كما ظهر التقدم الدائرى أو الحلزونى فى فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، عودا على بدء، من البداوة إلى الحضارة إلى البداوة من جديد. كما تجلى هذا التصور الحلزونى فى قصص الأنبياء فى القرآن. يظهر النبى ضد مثالب قومه، مثل التسلط عند آل فرعون، الشذوذ الجنسى عند قوم لوط، العصيان فى بنى إسرائيل، عبادة الأصنام لدى آل إبراهيم. ثم تعود المجتمعات إلى ما تعودت عليه من قبل. فيظهر نبى جديد مذكرا بالأنبياء السابقين وكما صور نجيب محفوظ فى "ملحمة الحرافيش" وفى "أولاد حارتنا".

أما علوم التصوف فتصورت التقدم أيضا ارتقاء فى المقامات والأحوال، من التوبة إلى الفناء، طريقا إلى الله يسلكه السالكون، ويطرقه المزيدون بمساعدة

مشايخ الطرق. وهو تقدمى أخلاقى روحى. ينتهى بعالم الأقطاب والوتاد والأبدال والنقباء من صنع الخيال. يجد فيه الصوفى البديل عن عالم الظلم والقهر والاستبداد أو عالم الرياء والنفاق والمداهنة والمديح.

ثم أصبح مفهوم "التقدم" أحد هموم الفكر العربى الإسلامى الحديث والمعاصر فى حركات الإصلاح بكافة أنواعها، الإصلاح الدينى عند الأفغانى، الاجتهاد ضد التقليد، والعقل فى مقابل النقل، وحرية الإرادة فى مقابل القضاء والقدر، والديموقراطية فى مواجهة التسلط والطغيان. وتساءل شكيب أرسلان: لماذا تخلف المسلمون وتقدم غيرهم؟ كما ظهر كتقدم مدنى فى الفكر السياسى الليبرالى عند الطهطاوى. وترجم فتحى زغلول سر تقدم الأنجلوسكسون. وأبرزه أنصار الفكر العلمى العلمانى وأنصار نظرية التطور لدارون. إن التقدم والارتقاء سر الحياة الطبيعية والإنسانية. فكل شىء يتطور بما فى ذلك الإنسان والحضارة.

وأنشأت عديد من الأحزاب التى وصفت نفسها بالتقدمية، الحزب الاشتراكى التقدمى، التجمع الوطنى التقدمى. وأنشأت وحدة الأحزاب التقدمية. وظهرت دور نشر تحمل اسم "التقدم" كتلك التى أسسها أنصار سلامة موسى. غناه الشعراء، ودافع عنه المفكرون فى مواجهة قوى المحافظة والرجعية والسلفية.

اليسار الإسلامى إذن هو إحدى القوى التقدمية فى الوطن العربى والعالم الإسلامى. يرى أن اليوم أفضل من الأمس بالرغم من بعض مظاهر الانتكاس، وأن الغد أفضل من اليوم بالرغم من حالة التشاؤم والانهيار العامة. والقرآن يحث على الأمل ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. وهو واقع مهما طال الانتظار ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

٦- الإسلام الليبرالى

الإسلام الليبرالى هو أحد صياغات اليسار الإسلامى. وهو موجود بالفعل تحت هذا الاسم فى أندونيسيا عند أولى الأبصار تطويرا لليسار الإسلامى فى القاهرة بالرغم من مغالاته فى الليبرالية على مستوى الرأى العام ومدها إلى العبادات بحيث يحقق أهدافها بوسائل أخرى كما قال الفلاسفة من قبل. فالعبادات وسائل وليست غايات. الصلاة للسمو الروحى، وأداء الأفعال فى أوقاتها. والزكاة حق الفقراء فى أموال الأغنياء. والصوم إحساس بجوع الفقراء. والحج تجمع سنوى للتعبير عن حال الأمة بين أعدائها وأصدقائها.

وقد أصبح اللفظ المعرب لفظا مستعملا متداولا مثل بعض الألفاظ القديمة، فلسفة وموسيقى وهندسة وبعض الألفاظ العلمية الحديثة مثل الراديو والتليفزيون والتليفون والكومبيوتر والإنترنت، ومثل بعض الألفاظ السياسية مثل الديموقراطية والبرلمان والأيديولوجيا والماركسية. فاللفظ القديم "الحرية" يقال فى مقابل "العبودية" فى الفقه، وقد اختفى نظام العبودية فى التاريخ فى القرن التاسع عشر فى الحرب الأهلية الأمريكية بين الشمال والجنوب.

والرغبة فى الحرية رغبة عارمة فى قلوب الناس لمعاناتهم من نظم القهر، ملكية كانت أو جمهورية، مدنية أم عسكرية. تسيطر الدولة فيها على كل وسائل التعبير فى أجهزة الإعلام والمؤسسات التعليمية والثقافية. وكل رأى جديد يتهم صاحبه بالردة أو الكفر أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة. وتتفق كل التيارات

السياسية الرئيسية فى الوطن العربى والعالم الإسلامى، الإسلامية والقومية والليبرالية والماركسية، على أن القضية الرئيسية فى الحياة العامة هى قضية الحرية. يعانى أنصارها من الاضطهاد والسجن والاعتقال. وهى أجنحة المعارضة الرئيسية فى البلاد. وتدل تقارير منظمات العفو الدولية على وجود حوالى عشرين ألفا من المعتقلين السياسيين فى الوطن العربى وحده. بل تصدر إليه معتقلو جوانتنامو للتعذيب فى أوطانهم وليس فى الولايات المتحدة الأمريكية خشية الإعلام والقانون.

والحرية حق طبيعى للإنسان. أعلنه عمر بن الخطاب منذ أكثر من أربعة عشر قرنا "لماذا استعبدتم الناس وقد ولتهم أمهاتهم أحرارا؟"، واستعاده أحمد عرابى فى مواجهة الخديوى توفيق عارضا عليه مطالب الجيش والشعب "إن الله خلقنا أحرارا ولم يخلقنا عقارا. والله لا نستعبد بعد اليوم" من تعاليم الأفغانى. وكتب الكواكبى "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" دفاعا عن الحرية. ودافع عنها خالد محمد خالد فى "الله والحرية". وساهم فى ذلك المفكرون العرب مثل محمد عزيز لحبابى فى المغرب فى "حرية أم تحرر؟".

ولم تغب الحرية عن تراثنا القديم وإن ظهر معناها بألفاظ أخرى مثل "خلق الأفعال" فى علم الكلام خاصة عن المعتزلة. فالإنسان خالق أفعاله أى صاحبها وإلا انتفت المسئولية عنها فى الدنيا والآخرة، وضاع قانون الاستحقاق، الثواب أو العقاب على الأفعال. وفى الفلسفة الخلقية عند الفارابى ومسكويه الحرية شرط الفعل الخلقى الإرادى. والإنسان يختار بين حياة الفضيلة وحياة الرذيلة، بين تنمية قواه الشهوية أو الغضبية أو العاقلة. وعند الصوفية، الحرية داخلية، حرية الضمير والتغلب على شهوات الدنيا والتحرر منها. وفى أصول الفقه حرية الأفعال فى المندوب والمكروه، المندوب هو حرية الاختيار بين الفعل وعدم الفعل والأفضل الفعل.

والمكروه حرية الاختيار بين الفعل وعدم الفعل والأفضل عدم الفعل. والمباح حرية الفعل أو عدم الفعل فالإنسان حر طليق فى أفعاله الطبيعية. شرعيتها فى وجودها.

وفى الفقه يتحرر الإنسان من العبودية بالعلم. إذ لا يجوز استعباد العالم فى حده الأدنى وهو القراءة والكتابة. ولا يجوز استعباد الأم، فالأمومة تربية الأطفال على الحرية، وفاقد الشىء لا يعطيه. ولا يجوز استعباد الشجاع المحارب الذى يدافع عن القبيلة ضد الغزو والعدوان. فالشجاعة فعل من أفعال الحرية. وإذا ارتكب الإنسان ذنبا فعليه تحرير رقبة. فالعبودية ذنب يجب التكفير عنه بالتحرير.

والشهادة نفسها فعل من أفعال الحرية. تبدأ بالشهادة أى بالرؤية والإعلان. فالمسلم هو الذى يشهد على ما يقع فى عصره من أحداث وما يتحكم فيها من نظم. ليس كالحكمة الصينية القديمة "لا أسمع، لا أرى، لا أتكلم" أو بالتعبير المسرحى الشعبى "شاهد ما شافش حاجة". ثم يقوم المسلم بفعلين من أفعال الشعور، فعل النفى فى "لا إله" أى نفى كل آلهة العصر المزيفة، الثروة، الجاه، السلطة، الجنس، الشهرة. فإذا ما تحرر منها يقوم بفعل الإثبات "إلا الله" أى الواحد الحق الذى يتساوى أمامه الجميع. فالشهادة تعنى حرية الضمير والوجدان. وهو ما يدفعه لقول الحق. فالساكت عن الحق شيطان أخرس. **﴿وإذ قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾**. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو جهر بالحق مثل النصيحة. ووظيفة الحسبة الكشف عن الزيف فى المعاملات والاحتيال فى الموازين والأسعار فى الأسواق. فالمسلم لا يخاف من الإعلان عن الحق لأن حرية الرأى والتعبير والتفكير من مقتضيات الإيمان **﴿إن الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾**.

الحرية فى القول والعمل، فى الفكر والاعتقاد. تمنع الإنسان من ازدواجية الشخصية والنفاق والرياء والمدح **﴿قتل الخراصون﴾**. الحرية هى الإعلان والبيان والبلاغ **﴿فاصدع بما تؤمر﴾**. الحر كالرسول **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك. وإن لم تفعل فما بلغت رسالته. والله يعصمك من الناس﴾**.

يكفى اليسار الإسلامى أن يكون مدافعا عن حريات الناس ضد قهرهم والتسلط عليهم. فبدون الحرية لا تنشأ استنارة عقل، ولا توزيع ثروة، ولا إحراز تقدم، ولا تأكيد حق طبيعى، ولا وجود لإنسان.

٧- الإسلام الديموقراطى

"الإسلام الديموقراطى" إحدى صياغات اليسار الإسلامى وتسمياته. وهو موجود بالفعل فى مصر وتونس. ويعنى قبول التعددية السياسية والنظام الحزبى والاحتكام إلى صناديق الاقتراع بعيدا عن العنف واستعمال القوة للوثوب على السلطة بتنظيمات علنية أو سرية. وهى تسمية طبيعية بعد "الإسلام الليبرالى"، حرية الفرد أولا ثم ديموقراطية الحكم ثانيا.

ولفظ "الديموقراطية" أيضا لفظ معرب مثل "الليبرالية". وأصبح أيضا متداولا وشائعا. ويعنى حكم الشعب على النقيض من حكم الطغاة كما حدث عند اليونان. ويفضل الإسلاميون استعمال لفظ "الشورى". وبالرغم من الخلاف فى الآليات بين "الديموقراطية" و"الشورى" إلا أن الاتفاق فى الروح. وهو ضد حكم الفرد وانفراده بالرأى والقرار. ويصر العلمانيون على أن الخلاف بينهما كبير. وهما أقرب إلى الاختلاف منهما إلى الاتفاق. والحقيقة أن الخلاف فى استعمال اللفظ بين الإسلام الديموقراطى والعلمانى الغربى إنما هو صراع على السلطة. فالإسلاميون يريدون إعادة صياغة إسلام مدنى قادر على التعامل مع باقى الاتجاهات السياسية فى إطار من شرعية الدولة. والعلمانيون الغربيون يريدون حصار الإسلاميين فى المحافظة الدينية حتى يفسح لهم المجال وحده للعمل السياسى الشرعى خوفا من شعبية الإسلاميين وقدرتهم على حشد الجماهير.

والمعنى الشائع لا خلاف عليه. فالسلطة للشعب وليست للرئيس، واحترام سلطة الأغلبية وأولويتها على سلطة الأقلية، وحرية الصحافة وأجهزة الإعلام،

والفصل بين السلطات، واستقلال القضاء. الديموقراطية بهذا المعنى الشائع أفضل من الأوتوقراطية، حكم الفرد المطلق وحكم الأقلية وحكم الطبقة. ومع ذلك الديموقراطية فى آلياتها الغربية لها حدودها باعتراف أنصارها أنفسهم. فهى تصور كمى يقوم على قسمة الشعب إلى أغلبية وأقلية. الأغلبية فى الحكم، والأقلية فى المعارضة. للأغلبية الحق فى إصدار القرارات فى النظام السياسى، اشتراكية أو رأسمالية، وفى العلاقات الدولية، حربا أم سلما. فإذا ما أصبحت أغلبية اليوم أقلية فى الغد وأصبحت أقلية اليوم أغلبية فى الغد، تتغير القرارات السياسية. وما كان حقا يصبح باطلا، وما كان باطلا يصبح حقا. ولا يوجد نظام قيمى يحكم ديكتاتورية الأغلبية وتبعية الأقلية أو اتفاق الأغلبية والأقلية على القهر والغلبة كما حدث فى النازية والفاشية أو على تأييد الغالب على المغلوب والقوى على الضعيف والظالم على المظلوم كما يحدث الآن فى تأييد اغتصاب إسرائيل لفلسطين وطرد الشعب الفلسطينى خارج وطنه فى المخيمات أو إلى بلاد المهجر. فلا فرق بين الجمهوريين والديموقراطيين فى الولايات المتحدة الأمريكية أو بين العمال والمحافظين فى بريطانيا فى العدوان على العراق وأفغانستان وتأييد اغتصاب فلسطين. لا فرق بين أقلية وأغلبية لاجتماعهما معا على أيديولوجية الغزو العسكرى للأوطان، واغتصاب حقوق الشعوب.

وتقوم الديموقراطية على تصور فردى، صوت واحد لكل فرد بصرف النظر عن علمه أو جهله، اختصاصه أو عدم اختصاصه، وعيه أو عدم وعيه، استقلاله أو تبعيته، حضوره أم غيابه، التلاعب بصوته أو احترامه. كما أنه يخضع لقوة الإعلام والدعاية الانتخابية للمرشحين وانتماءاتهم القبلية أو الطبقية. تتحكم فى الانتخابات "الأعمال القذرة". ولم تمنع الديموقراطية فى النهاية من شتى أنواع الفساد والرشوة والتهرب من الضرائب.

أما "الشورى" التى يفضلها الإسلاميون فإنها تقوم أساسا على حق الاختلاف وشرعيته. فاختلاف الآراء مثل اختلاف الليل والنهار واللغات والشعوب والقبائل والعادات والتقاليد. واختلاف الأئمة رحمة بينهم. والكل راد ومردود عليه. لذلك نشأ علم الخلاف فى الفقه وعلم التعارض والتراجيح فى أصول الفقه. وذلك ضد الانفراد بالرأى والقرار حماية لمصالح الأمة من الانفعالات والمصالح والأهواء. الأقلية لها نفس احترام الأغلبية. ويكون الإجماع ناقصا حتى ولو عارض واحد فقط. هى ديموقراطية توافقية للوصول إلى رأى واحد عليه إجماع الأمة. تخضع لنسق من القيم. فالحق ليس مشروطا بإرادة الأغلبية. ولا الباطل مشروطا بإرادة الأقلية حتى لا يصبحا نسبيين، يتغيران بتغير أصوات الناخبين. نسق القيم مستقل عن أهواء البشر. الحق حق، والباطل باطل. والعدل عدل، والظلم ظلم، بصرف النظر عن إرادات البشر. إنما الخلاف فى مدى إلزامها. البعض يجعلها ملزمة، والبعض يجعلها استشارية. فالقرار فى النهاية للرئيس. وهو الإمام بتعبير القدماء. وهو مبايع من الناس وليس معينا من رئيس سابق أو من وصية أو من عهد أو من نص. وكما قال القدماء "الإمامة عقد وبيعة واختيار". والعقد شريعة المتعاقدين بين الحاكم والمحكوم. يطيع المحكوم الحاكم طالما أطاع الحاكم القانون والدستور. ويعصى المحكوم الحاكم إذا ما عصى الحاكم القانون والدستور وفسخ العقد من جانبه. ويحق للمحكوم الخروج على الحاكم بعد استيفاء وسائل النصيحة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والحسبة. وهى الوظيفة الرئيسية للحكومة الإسلامية. فالحكم الإسلامى ليس ثيوقراطيا بل حكم القانون. والحاكم مبايع من الناس وممثل لهم وليس معينا لله وممثلا له. والحكم مدنى وليس إلهيا، سياسى وليس دينيا، نسبيا وليس مطلقا.

قد يعيب العلمانيون على الشورى أنها حكم الأقلية، وأن البيعة من أهل الحل والعقد وليس من جمهور المسلمين. هل هى بالانتخاب أم بالتعيين؟ هل هم رجال الأحزاب أم أهل الاختصاص؟ والحقيقة أن هذه كلها صياغات مختلفة متروكة لحكم البشر. فبعض النظم تفضل انتخاب الرئيس بالاقتراع العام. والبعض الآخر تفضل انتخابه من البرلمان. فالديموقراطية التمثيلية ليست غاية فى ذاتها بل هى وسيلة لمنع عدم الانفراد بالرأى والتفرد بالقرار. وكثيراً ما قامت تجارب التنمية وبناء الدول وتحقيق المشاريع القومية بالتوافق الوطنى وأحيانا بسلطة الدولة كما تم فى اليابان وكوريا الجنوبية ومصر فى دولة محمد على وعبد الناصر. ويمكن تحقيقها بوسائل أخرى. والأفضل بطبيعة الحال بالوسائل الديموقراطية السائدة هذه الأيام لتجميل النظام السياسى والتى ليس لها أى أثر فى الحياة السياسية. وظيفتها تبرير القرارات السياسية لحكم الفرد المطلق كما تفعل المجالس النيابية.

لقد استشارت الملكة سبأ فى أمر سليمان **﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾**. لا فرق فى ذلك بين رئاسة الرجل ورئاسة المرأة. وقد كان الرسول يستشير أصحابه. "لا خاب من استشار".

٨- الإسلام البرجماتى

"الإسلام البرجماتى" إحدى تسميات اليسار الإسلامى. واللفظ معرب أيضا مثل الليبرالى والديموقراطى. واللفظ العربى هو الإسلام العملى.

ليس الإسلام دينا نظريا يضع قواعد العقائد. فالمسيحية تفعل ذلك. وتجعل همها فى معرفة السر. لذلك ازدهر اللاهوت العقائدى فى المسيحية. الإسلام دعوة إلى العمل أو بتعبير الأصوليين اقتضاء فعل. والقرآن ملئ بآيات الدعوة إلى العمل **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**، **﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل﴾**. ويربط القرآن بين الإيمان والعمل فى مئات الآيات التى تبدأ بنداء **﴿يا أيها الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾**. ويستنكر انفصال القول عن العمل **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**. وقد ظهر ذلك أيضا فى الحديث أيضا "الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل".

والدعوة للعمل من أجل تحقيق المنفعة العامة. لذلك تسمى البرجماتية أيضا مذهب المنفعة. والقرآن مملوء بالآيات التى تحث على تحقيق المنفعة **﴿أما الزبد فيذهب جفاء. أما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض﴾**. وفى الحديث "خيركم للناس أنفعكم للناس"، "أعوذ بالله من علم لا ينفع".

وقد ظهر ذلك بوضوح فى علم أصول الدين وهو علم العقائد. فالتوحيد له غرض عملى. يتجلى فى وحدة الذات الإنسانية بين القول والعمل، وبين الفكر والوجدان منعا لازدواجية الخطاب وكل أشكال النفاق والرياء والمداهنة. والإيمان

والعمل إحدى القضايا الرئيسية فى علم الكلام. المثل الأعلى التوحيد بين القول والعمل والفكر والوجدان. والعمل هو أساس الاستحقاق، الثواب والعقاب **﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾**. والعمل هو الكدح **﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾**. لذلك فرق الفقهاء بين التوحيد النظرى والتوحيد العملى، بين التوحيد الذهنى والتوحيد الإرادى. وكل الأسئلة التى سألها المسلمون النبى كانت لها إجابات عملية **﴿ويسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾**، **﴿يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء﴾**. ولا يُسئل عن أشياء نظرية لا ينتج عنها أثر عملى مثل **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى﴾**. والسؤال النظرى إجابته عملية كما سُئل الرسول متى الساعة فقال "استعد لها".

وظهرت هذه النزعة العملية فى باقى العلوم الإسلامية. ففى الفلسفة، الفلسفة قسمان: نظرية وتضم المنطق والطبيعيات والإلهيات، وعملية وتضم الأخلاق والاجتماع والاقتصاد. والنظرية مقدمة إلى العملية. وفى علم أصول الفقه الوعى التاريخى، المصادر الأربعة للشرع مقدمة للوعى النظرى، تحليل الخطاب وأفعال الأمر. وكلاهما يصبان فى الوعى العملى، المقاصد والأحكام. فالشريعة قصد موجه نحو الإنسان، حياته وعقله وقيمه وكرامته ومصالحه. والإنسان أيضا قصد جزئى موجه نحو الفعل بالنية. وأحكام الوضع وصف لفعل الإنسان فى العالم، سببه وشرطه ومانعه وطاقته وصدقه. وأحكام التكليف وصف لفعل الإنسان الضرورى، إيجابا وسلبا وهما الواجب والمحرم أو الحر، إيجابا وسلبا وهما المندوب والمكروه أو الطبيعى وهو المباح. والفقه عبادات ومعاملات. وكلاهما أفعال.

ليست البرجماتية فقط من إبداع الغرب وحده، ولا النزعة العملية الأخلاقية من صنعه. فقد تجلت فى كل حضارة. سقراط والرواقيون والأبيقوريون عند

اليونان، وأوغسطين فى العصر المسيحى، وديكارت وكانط وبرجسون وشيلر فى العصر الحديث. واشتهر بها وليم جيمس وجون ديوى فى الفلسفة الأمريكية. وهى روح الكونفوشيوسية والبوذية فى آسيا. وحول جوته أول آية فى إنجيل يوحنا "فى البدء كانت الكلمة" إلى "فى البدء كان الفعل". واشتهر كارل ماركس بأنه هو الذى نقل الفلسفة الغربية من النظر إلى العمل، ومن فهم العالم إلى تغييره.

واليوم ندخل حرب العقائد. ويكفر بعضنا بعضا لقول أو مقال، والواقع لم نتغير. شغلنا أنفسنا بعذاب القبر ونعيمه، ونكر ونكير، والجنة والنار، والصراط والميزان والحوض. وتصدر فتاوى عن إرضاع الكبار لجواز الخلوة، وببول الرسول لجواز البركة، ولريقه للعلاج. ومن القواعد الفقهية القديمة أن كل مسألة نظرية لا ينتج عنها أثر عملى فإن وضعها فى العلم عار أى لا يجوز. والكافر العادل عند الله خير من المسلم الظالم. وامتلأت خطب المساجد بما لا ينفع، والحديث عن جنس الملائكة وفلسطين تضيع، وعن جواز الجن والعراق يسيل دمه كل يوم، وعن المعجزات والكرامات ويراق دم الأفغان من القوات الأمريكية والبريطانية. وقضاء حاجات الناس أولى من الحديث الذى لا ينفع. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه. والأمور بخواتيمها وليس بمقدماتها.

لذلك كثرت نداءات الإصلاح للفعل والعمل، وصاح محمد عبده "ما أكثر القول وأقل العمل". وكثرت دعوات العودة إلى دعوة القرآن لما ينفع. بل المنفعة والضرر هما مقياس الإيمان **﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾**، **﴿أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم﴾**، **﴿أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا﴾**، والعلم هو العلم النافع **﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾**. والذكرى هى الذكرى النافعة **﴿فذكّر إن نفعت الذكرى﴾**. والشفاعة لا تنفع بعد

انقضاء الحياة ﴿يومئذٍ لا تنفع الشفاعة﴾. والصدق هو النافع ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾.

وقد خلق هذا العالم من أجل منفعة الإنسان ﴿والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس﴾. والحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، والأنعام بها دفء ومنافع. والعبادات بها منافع الصلاة والصيام والزكاة والحج ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾.

إن قيمة الإنسان اليوم بما ينتج. والأخ الذى لا يعمل لإعالة أخيه العابد أفضل عند الله. ويقول إقبال فى ديوان "جواب شكوى". سألنى الله يوما: هل يعجبك العالم؟ فقلت لا. فأجابنى "إذن غيّره".

٩- الإسلام الإصلاحى

"الإسلام الإصلاحى" أحد تعبيرات اليسار الإسلامى. فهو لا يدين ولا يكفّر ولا يستبعد أى تفسير آخر، تعلما من تجارب الأنبياء السابقين. فقد دعا نوح على قومه بالهلاك، ﴿**وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك. ولا يلدوا إلا كافرا فجارا**﴾. وغضب موسى من قومه ومن أخيه هارون الذى خلفه وصعد إلى جبل الطور يعبد ربه، وترك قومه فى التيه، ﴿**ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئس ما خلفتمونى من بعدى. أعجلتم أمر ربكم. وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه. قال ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى. فلا تشمت بى الأعداء. ولا تجعلنى مع القوم الظالمين**﴾. وأعلن عيسى الحقيقة كلها فلم يتحمله قومه ووشوا به وتخلصوا منه ثم عبده أنصاره. فبناء النفوس أصعب من بناء الدول ﴿**فلما أحس عيسى منهم الكفر**﴾، ﴿**وقولهم إنا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله**﴾، ﴿**ولعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم**﴾.

الإسلام حركة إصلاحية ضد الإفساد فى الأرض، تغير ما هو موجود وليس تدميره أو إقصائه أو الخروج عليه بالعنف المسلح أو الانعزال عنه إلى الكهوف والصحراء، فى الأديرة والزوايا والخانقاه. تعامل مع كل ما كان موجودا من أديان سابقة عليه. ارتبط بالحنفاء، دين إبراهيم، وقد كانوا معظمين عند العرب. وتعامل مع اليهودية والنصرانية مؤكدا أن القرآن مصدق لما جاء فى التوراة والإنجيل

والزيور دون حرفية القانون والعصيان، وادعاء الاختيار فى اليهودية، وضد التحريف وسوء فهم العقائد والوقوع فى الاشتباه فى النصرانية، وكلاهما "أهل ذمة" أى فى ذمة المسلمين. يعيشون معهم ويشاركونهم الطعام والشراب والزواج. **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾**. وارتبط بالصابئة مغيرا عبادة الكواكب إلى استعمالها لمعرفة المواقيت والحساب. **﴿ويسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾**. وارتبط بالمجوس، مغيّرا عبادة النار إلى توظيفها فى الدفء والوقود. **﴿أفرأيتم النار التى تورون. أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾** حتى يُنتزع استغلالها ويقضى على ألوهيتها. فالنار مصنوعة وليست صانعة **﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾**. النار للدفء **﴿لعلى أتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾**، وللصناعة **﴿ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية﴾**. والكل يكوّنون الأمة الإسلامية المتعددة الديانات والطوائف والملل والنحل. وكما حدث بالفعل فى "ميثاق أهل المدينة" أول دستور تعددى فى التاريخ.

كما آخى الإسلام بين الأوس والخزرج، ولم يدمرهما ويأتى بقبائل جديدة. كما آخى بين المهاجرين والأنصار ولم يغلّب فريقا على فريق. وأيد حلف الفضول قبل الإسلام أى نصرة المظلوم ضد الظالم. وتواصل مع الجاهلية بعد تنظيف الكعبة من الأصنام. "خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام".

وغيّر الواقع تدريجيا دون هدمه وإعادة بنائه من جديد. حرم الخمر تدريجيا، لما فيها من إثم ومنافع، ولعدم التركيز فى الصلاة ثم عدم الاقتراب منها لأنها رجس دون لفظ التحريم. وغير وضع المرأة مما لا مساومة فيه وهو حق الحياة **﴿وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت﴾** إلى وضع سقف لتعدد الزوجات وفى حالات استثنائية

وبشرط مستحيل التحقق وهو العدل ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾. ولم تكن لها شهادة فأصبحت نصف شاهدة. ولم يكن لها نصيب فى الميراث فأصبحت نصف وارثة. ولم يكن لها حقوق فى الطلاق فأصبح لها النفقة ومؤخر الصداق. وكانت لا تخرج من الخيمة فتصدرت الحياة العامة فى العلم والقضاء، والسلم والحرب. هذا التغير التدريجى بنص الوحى فى "الناسخ والمنسوخ" كلما تغير الواقع تغير الحكم طبقا لدرجة تقدمه. ودور الفقيه الآن هو الاستمرار فى روح الإسلام نحو المساواة بين المرأة والرجل من النصف إلى الواحد الصحيح.

الإسلام الإصلاحى ضد الحاكمية بالمعنى السلفى أى تكفير المجتمع ونظمه القائمة الليبرالية والقومية والإسلامية النصية بل تبدأ من واقع هذه النظم وتجعلها أقرب إلى النظام الإسلامى، تحول سلميا من الواقع إلى المثال. وهو المنهج الإسلامى فى البداية بالطبيعة والاتجاه بها نحو الكمال. لذلك أعجب المسلمون بأرسطو. فالطبيعة تتجه نحو الكمال.

لذلك كثر استعمال لفظ "الإصلاح" فى مقابل "الإفساد" فى القرآن. النبوة إصلاح، والنبى مصلح واسم النبى صالح ﴿إن أريد الإصلاح ما استطعت﴾. والإصلاح هو سبب البقاء فى الأرض ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾. والنجاة فى السماء ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم﴾. وشرط التوبة الإصلاح والتغير بعدها ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه﴾. وهو فعل حر لا يتدخل الله فيه ﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ ودون احتجاج بالقضاء والقدر. والإصلاح ضد الإفساد ﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾. ومعيار التمييز بين الناس هو الإصلاح والإفساد، ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾. والإصلاح والإفساد فى الأرض وبين الناس ﴿الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون﴾. والعمل هو العمل الصالح. والإيمان مقرون به.

لذلك أعجب المسلمون بحركة الإصلاح الدينى الحديثة عند الأفغانى ومحمد عبده وقاسم أمين والكواكبى وعبد الحميد بن باديس. بل إن كل التيارات الفكرية والسياسية، الليبرالية والعلمية بل والعلمانية تيارات إصلاحية بالمعنى الواسع أى تغيير الوضع القائم لما هو أفضل. وهو المعنى الأصلى لليسار، تغيير الوضع الراهن لما هو أفضل وليس تثبيته كما يريد اليمين المستفيد منه. وقد نشأ التباين فى مناهج الإصلاح بين الإصلاح الثورى السياسى بل والانقلابى عند الأفغانى، والإصلاح التربوى الأخلاقى التدريجى عند محمد عبده بعد فشل الثورة العرابية. وسعد زغلول قائد ثورة ١٩١٩ فى مصر تلميذ الأفغانى. ويتوق الجيل الحالى من المصلحين الانتقال من الإصلاح الدينى إلى النهضة الشاملة. فلا نهضة بدون إصلاح.

ليس الإصلاح والنهضة وقفا على الغرب. فقد عُرف الغرب بهما، بالإصلاح الدينى عند لوثر فى القرن الخامس عشر، وبالنهضة عند جيوردانو برونو فى القرن السادس عشر. وأعجب المصلحون الإسلاميون بمارتن لوثر. فقد سُمى الأفغانى "لوثر الشرق". وقد درس لوثر الإسلام لمعرفة كيف وصل إلى الإصلاح. وجعل اسبينوزا الإسلام نموذجا لإصلاح المعبد اليهودى. تلك بضاعتنا رُدت إلينا. المهم الآن كيفية تطوير الإصلاح وتحويله من الخطابة إلى العلم، ومن الوعظ إلى التحليل، ومن الوجدان إلى العقل، ومن الدفاع إلى النقد حتى لا يكبو من جديد أو تتعثر نهضته إلى سقوط. أو تنقلب ثورة إلى ثورة مضادة حتى تتعلم الأمة من دروس التاريخ.

١٠- الإسلام الاشتراكى

من أسماء "اليسار الإسلامى" "الإسلام الاشتراكى". وربما هو أول اسم يتبادر إلى الأذهان نظرا للتوحيد التاريخى بين اليسار والاشتراكية. وقد ازدهرت أدبيات "الإسلام والاشتراكية" فى الستينيات حتى اعتقد الناس تحت تأثير الإعلام والدولة الاشتراكية أن الإسلام هو الاشتراكية وأن الاشتراكية هى الإسلام. فمنذ الأربعينيات كتب مصطفى السباعى "الاشتراكية فى الإسلام". واستأنف ذلك سيد قطب فى "العدالة الاجتماعية فى الإسلام" عام ١٩٥٠. ثم ازدهرت هذه الكتابات بعد الثورة المصرية منذ صياغة الاشتراكية التعاونية فى ١٩٥٥ ثم الاشتراكية العربية فى الميثاق عام ١٩٦٣ ثم التطبيق العربى للاشتراكية بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ فى ورقة ٣٠ مارس عام ١٩٦٨ أسوة بالاشتراكية الأفريقية، واشتراكيات العالم الثالث، وضد اتهام الثورات العربية فى منتصف القرن الماضى بأنها مادية ملحدة، شيوعية دموية من النظم الملكية والإقطاعية الرأسمالية. فالاختيار السياسى، اشتراكى أو رأسمالى هو الذى يحدد القراءة والانتقاء من النص ما يدعمها. والنص قابل للانتقاء الجزئى والتأويل طبقا للاختيار السياسى.

ودون أى قراءة اشتراكية معاصرة للإسلام فى مواجهة الموجة الحالية منذ ثلاثة عقود من الزمان أو يزيد للخصخصة وبيع القطاع العام والبنوك والشركات الوطنية والدخول فى النظام الرأسمالى العالمى دون قيم ليبرالية، يمكن القول بلا أدنى تردد أن الإسلام اختيار اشتراكى فى مبادئه الاقتصادية العامة. الإسلام رؤية

جماعية تقدم الجماعة على الفرد، والأمة على المواطن. ويتضح ذلك فى الملكية العامة لوسائل الإنتاج ملكية جماعية أو ملكية دولة لكل ما تعم به البلوى، الماء والطاقة والمواصلات والمعادن، ولكل ما هو ثابت غير منقول. وبتعبير القدماء هو "الركاز" أى كل ما فى باطن الأرض. عرف القدماء الذهب والحديد والنحاس والفضة والمنجنيز والفوسفات وعرفنا نحن النفط. وقد عرفت الملكية العامة بلفظ "الاستخلاف" **﴿وأنفقوا مما جعلناكم مستخلفين فيه﴾**. للإنسان حق الاستثمار والانتفاع والصرف فيما لديه وليس له حق الاحتكار والاستغلال والاكتناز فالمحتكر ملعون. ولفظ المال فى القرآن لا يشير إلى شىء أى إلى كنز وثروة بل هو لفظ مركب من اسم الصلة "ما" وحرف الجر "ل" أى أنه إضافة. فالملكية وظيفة اجتماعية واقتصادية وليست استحواذا على شىء، من فعل الذات وليست من فعل الموضوع.

وقد انتشرت أحاديث كثيرة تشرع للقطاع العام مثل "الناس شركاء فى ثلاث: الماء والكلأ والنار". الماء والكلأ رمزا للزراعة والنار رمزا للصناعة. و"الإقطاع" فى النظم الاقتصادية القديمة مزارع للدولة يرعى فيها الجميع. كما وضع ابن حزم مبدأ "الأرض لمن يفلحها" أى عدم جواز الملاك الغائبين وامتلاك الأرض لغير الفلاحين. كما وضع القدماء مبدأ "ما استصلح أرضا فهى له". ووضع الفقه القديم نظم المؤاجرة والمزارعة، واحد بأرض والثانى بعمله مناصفة ومشاركة فى الانتفاع. وحرم القرآن الربا واستغلال حاجات الفقراء من الأغنياء. وجعل العمل وحده مصدر القيمة، وليس الإرث أو النسب. وحدد الأسعار، ووضع هامشا معينا للربح. ومنع الغش وبيع ما فى الغيب مثل التمر على النخل قبل أن يطرح، والوليد فى بطن الحيوان قبل أن يولد، والزرع فى الأرض قبل حصاده. ووظيفة المحتسب الرقابة على الأسواق والموازين ومنع الغش فى البضائع.

ليست الزكاة وحدها هى حق الفقراء فى أموال الأغنياء بل فى مال الأغنياء حق للفقراء غير الزكاة **﴿والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾**. ولا يجوز ترك المال العام فى أيدى قلة أو طبقة لمنع الاستغلال **﴿كى لا يكون المال دولة بين الأغنياء منكم﴾**. واستعمالات لفظ "المال" فى القرآن تشير إلى أنه أموال الغائبين "أموالهم" وليس أموال الحاضرين ولا يوجد لفظ "أموالى" بل لفظ "مالى" وبمعنى سلبى **﴿ما أغنى عنى ماليه، هلك عنى سلطانيه﴾**. أى سلطة الاقتصاد والسياسة.

وكثرت أحاديث الاشتراك فى الأموال والثروات فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفى الممارسات الاجتماعية. فالقرآن يدين من له تسع وتسعون نعجة ويريد أن يأخذ نعجة أخيه لتتراكم ثروته وإعدام ثروة الآخرين. ويصور القرآن سبب انهيار المجتمعات **﴿وبئر معطلة وقصر مشيد﴾** أى تعطيل مصالح الناس الحيوية مثل الماء والآبار وتشييد قصر لإقطاعى على حافته. ويصف "رب البيت" بأنه هو الذى يطعم عن جوع ويؤمن من خوف **﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾**. فالله على علاقة بالخبز والحرية، ولا يسمح الإسلام بوجود فوارق اجتماعية شديدة بين من يملكون ومن لا يملكون. "ليس منا من بات جوعان وجاره طاو". وما زاد عن حاجة الإنسان وقوت يومه فهو حق للآخرين. وفى الأثر "عجبت لرجل لا يجد قوت يومه ولا يخرج للناس شاهر سيفه". وقد نقل عن عمر "لو كان الفقر رجلا لقتلته". ونفى عثمان أبا ذر الغفارى إلى ربضة الشام عندما رأى التفاوت الشديد بين الفقراء والأغنياء، وبناء القصور، وتراكم رأس المال بأيدى قلة، وظهور الطبقات الاجتماعية. وقد جعله بعض المفكرين المعاصرين مثل على شريعتى أول اشتراكى فى الإسلام. وفى الإسلام نقد شديد للإسراف والمسرفين والتبذير والمبذرين وكل مظاهر الاستهلاك الحديثة داعيا إلى التقشف وعدم ملأ البطون "حسبما المرأ لقيمات يقمن صلبه". ثلث المعدة للطعام والثلث

للماء والثلث للنفس. إن أى سياسة للتنمية تتضمن الحد من الاستهلاك وشد الحزام على البطون والادخار الوطنى من أجل الاستثمار.

إن أوضاع المسلمين اليوم تحتم هذا الخيار الاشتراكى للإسلام نظرا للتفاوت الشديد فى الدخول بين الأغنياء والفقراء. فأغنى الأغنياء منا، أحد السلاطين. وأفقر فقراء العالم منا، الآلاف الذين يموتون بطنة وإشباعا والملايين الذين يموتون قحطا وجوعا وعريا وهلاكا فى مالى وتشاد والصومال وإريتريا والسودان وبنجلاديش والهند. والإسلام قادر على تلبية حاجات المسلمين فى كل عصر. ما ينقصه هو اجتهاد العلماء. واليسار الإسلامى أحد الاجتهادات لحل القضية الاجتماعية من أجل إعادة توزيع الدخول بين المسلمين دون تركيز الثروة فى منطقة، والفقر فى منطقة أخرى، والجفاف فى منطقة، والمياه فى منطقة أخرى، والثروات الطبيعية فى منطقة والعمال فى منطقة أخرى. وقد استطاعت بلدان إسلامية مثل ماليزيا وتركيا واليمن وإيران والهند الوعى بذلك. والعقل والخبرة والعلم متوفرة فى الوطن العربى والعالم الإسلامى. تساهم فى بناء الغرب، وتشارك فى تحقيق مشاريعه التنموية. وأهل مكة أدرى بشعابها دون ما حاجة إلى عقل إسرائيل.

ما ينقص هو الإرادة السياسية الواحدة، والعمل على الأمد الطويل وليس على الأمد القصير، والتخطيط لمشاريع تنمية مشتركة تواجه قضية الفقر والبطالة والإسكان والتعليم والصحة. واليسار الإسلامى محاولة لتوعية الأمة، العامة والخاصة، الشعب والقادة، الجماهير والنخبة على أن "الإسلام هو الحل" ليس كشعار فارغ من أى مضمون بل كبناء سياسى اجتماعى وتغيير للوضع القائم وإصلاح لأحوال الأمة وتحقيقا لأمانيها فى المساواة والعدالة الاجتماعية.

١١- الإسلام الوطنى

"الإسلام الوطنى" هو إحدى صياغات "اليسار الإسلامى". يعطى الأولوية للوطن على القبيلة والقوم والعشيرة والعرق والمذهب والطائفة. فالوطن هو الذى يجمع بين الناس وليس العصبية كما كان الحال فى العهد القبلى وكما وصف ابن خلدون. والوطن إحساس بديهى بالمكان، وذكريات الطفولة، وصداقات الصبا. والوعى الأولى بالعالم. هو اجتماع المكان، مكان الولادة، بالزمان، بالعصر والتاريخ. الوطن هو الواقع الذى يعيش الإنسان فيه، يخلق فيه الوعى، ويسعى فيه الجسد. اشتق منه لفظ "مواطن" أى من ينتسب إلى وطن. لذلك كان ضمن العقوبات الشرعية "التغريب" أى الإبعاد عن الوطن. ومهما عاش المغترب حاليا خارج وطنه فإنه يحن إليه، يحلم به، ويسامحه مهما أساء إليه بدفعه إلى الهجرة بعيدا عنه. أول ما يسمع من الأخبار عنه، يأكل طعامه ويشرب شرابه ويلبس لباسه ويسكن مسكنه وهو فى الغربة حتى يعيش فى وطن بديل، يحمله بين جنبيه فى الهجرة والعودة. يسمع أدب المهجر، والحنين إلى الأوطان. ويشاهد "الجزيرة" و"عربية" والفضائيات العربية. ويشارك بأقصى جهد فى المهرجانات الوطنية. ويسير فى المظاهرات فى الشوارع ويشارك فى الملتقيات الشعبية فى الميادين والحدائق دفاعا عن الوطن إذا ما أصابه سوء، احتلال وغزو من الخارج أو قهر وتسلط من الداخل.

ليس الوطن ضد الدين بدعوى أن الوطن قيمة علمانية وأن الدين عابر للأوطان، لا يفرق بين وطن ووطن أو قوم وقوم أو شعب وشعب. كل من قال "لا إله إلا الله" فهو مواطن سواء انتسب إلى هذه القومية أو تلك. الوطن واحد. والقوميات

والعرقيات والطوائف والمذاهب متعددة.

وحب الأوطان ليس غريبا على التراث الإسلامى. فقد روى عن الرسول ما تعلمناه فى المدارس الوطنية ومكتوب على ظهر الصفحة الأخيرة من نصائح "حب الوطن من الإيمان". صحيح لفظ الوطن غير مذكور فى القرآن إلا بمعنى الموطن أى المكان ﴿لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة﴾ ويعنى موقع النصر وليس الهزيمة أو الهجرة. وألقى الرسول خطابا ليلة الهجرة وهو يودعها فى نظرة أخيرة معلنا أنها أحب البلدان إلى قلبه لولا ظلم أهلها. وكان لدى عمر بن الخطاب إحساس بأن العرب ينتمون إلى بلاد العرب ذات الدين الواحد "والله لن أجعل فى بلاد العرب دينين". وكتب التوحيدى رسالة "فى الحنين إلى الأوطان". وقدر صدر الطهطاوى كتابه "مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية" بأنشودة فى حب الوطن وفى كل التراث الإسلامى فى حب الأوطان.

وطالما قامت حركات التحرر الوطنى على أولوية الوطن على الأيديولوجيات السياسية: قامت بفضل "الجبهة الوطنية" أو "الائتلاف الوطنى" أو "البرنامج الوطنى" أو "الخلاص الوطنى". فالوطن بوتقة تنصهر فيه كل الاختلافات الأيديولوجية والمذهبية. فاللبنانى لبنانى أولا قبل أن يكون مسلما أو مسيحيا، شيعيا أو سنيا، ماروني أو كاثوليكيا أو أرثوذكسيا، درزيا أو عربيا أو كرديا.

وفى نظرية الدوائر الثلاث التى حكمت جيلا بأكمله كان الوطن هو البؤرة، الدائرة الأولى، ثم القومية الدائرة الثانية ثم الإسلام الدائرة الثالثة، مصر والعروبة والإسلام. وليس صحيحا أن الوطن مفهوم استعمارى. فقد قسم الاستعمار الأمة إلى أوطان، والخلافة إلى أمصار لأن الوطن فى وجوده سابق على الأمة كوحدة قلبية وعلى الخلافة كوحدة سياسية. وكان عيب "الجمهورية العربية المتحدة" فى ١٩٥٨-

١٩٦١ أنها أسقطت أسماء الأوطان مصر وسوريا. أما اسم "جمهورية مصر العربية" فإنه يعطى الأولوية للوطن على القومية فى حين أن "الجمهورية العربية السورية" و"الجمهورية العربية اليمنية" تعطى الأولوية للقومية على الوطنية. أما "الجمهورية التونسية" أو "الجمهورية الجزائرية" فإنها تقتصر على الوطن دون العروبة. والاختلاف شديد بينها فى النظم السياسية بين الجمهورية والملكية والدولة والسلطنة. فالولاء الوطنى ليس خيانة للولاء القطرى أو الأممى. فالوطن ليس هو القطر. الوطن كيان أولى فى حين أن القطر جزء مصطنع من كيان سياسى أشمل. ومن ثم لا مكان لتكفير الإسلامى للوطنى والقومى أو تخوين الإسلامى والقومى للوطنى. فلا خصومة ولا فرقة فى الوطن بل الحوار الوطنى بين كافة الاتجاهات الفكرية والتيارات السياسية. الوطن هو الانتماء الأول والولاء الأول الذى منه تتشعب الاختيارات السياسية.

ليس الوطن قيمة غربية من منظومة القيم العلمانية مثل العقل والحرية والإنسان والتقدم والمساواة والطبيعة بل هو عاطفة أولية تقوم على تفاعل الزمان والمكان فى وعى الإنسان بالعالم منذ الصغر. ومن ثم الوطن هو الرابطة الجامعة لكل المواطنين. والأغرب هو عزل المواطنين المصريين فى درس التربية الدينية بين المسلمين لدراسة الدين الإسلامى والأقباط لدراسة الدين المسيحى وفك رابطة الوطن لصالح رابطة الدين مع أن التربية الوطنية جامع للفريقين، والقيم الأخلاقية هى الجامع للدينين. الوطن هو الجيرة والقرابة، والأقربون أولى بالشفعة. والجار أولى من البعيد "مازال جبريل يوصنى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".

الخطورة الآن فى تفتيت الأوطان إلى كيانات عرقية وطائفية والقضاء على الولاء الوطنى لولاءات بديلة حتى تبتلع العولمة الشاملة هذا الفسيفساء العرقى الطائفى. فالوطن مهدد من أسفل بالطائفية والعرقية ومن أعلى بالعولمة والشركات

المتعددة الجنسيات والمنظمات الدولية.

الوطن كيان تاريخى تجسده الدولة خاصة فى بعض الدول التاريخية مثل مصر والمغرب والعراق. قد تكون الدولة الوطنية الحديثة فى مرحلة ما بعد الاستعمار شكلا حديثا لأمم تاريخية. الوطن خبرة أولية لا ترد إلى القطر أو البلد أو المصر أو الأراضى المتنازع عليها تحت وصاية الأمم المتحدة أو تحت الاحتلال. الوطن رموزه النشيد الوطنى، والسلام الوطنى، والعلم الوطنى، والزى الوطنى، والحياة الشعبية الوطنية. والمواطنة سابقة على الحرية لأنه لا حرية إلا لمواطنين. والحرية لا تكون إلا فى وطن. ويمكن للمواطن التنازل عن حريته الفردية فى سبيل حرية الأوطان. وحرية الأوطان لا تؤجل حتى يتحرر المواطن. تحرير فلسطين له الأولوية على حرية الفلسطينى. فالوطن قبل الفرد.

الإسلام الوطنى قادر على لم الشمل بين الإسلاميين والعلمانيين لصالح الوطن. فالإسلامى والعلمانى ينتسب إلى نفس الوطن. وكلاهما مواطن فى نفس الوطن. والخلاف الأيديولوجى لا يقضى على وحدة الأصل. فإذا قال الإسلاميون "الإسلام هو الحل" وقال الوطنيون "الوطنية هى الحل"، فعند اليسار الإسلامى "الإسلام الوطنى هو الحل".

١٢- الإسلام القومى

اليسار الإسلامى أيضا إسلام قومى، يربط العروبة بالإسلام. فالإسلام أحد تجلياتها ومراحلها التاريخية، كما أن العروبة أحد مراحل تطور الوحى منذ آدم حتى محمد. حمله الساميون، وكان آخرهم العبرانيين. وبالرغم من الصراع التقليدى بين الإسلاميين والقوميين لسوء فهم متبادل لكل منهما الآخر. فالقومية عند الإسلاميين عرقية محدودة، فى حين الإسلام إخوة شاملة. والإسلام عند القوميين تجاهل للعروبة وأممية لا وجود لها فى عصر القوميات. فما يجمع بين العربى المسلم والعربى المسيحى أكثر مما يجمع بين العربى المسلم والصينى المسلم. وبعد هزيمة يونيو- حزيران ١٩٦٧ نشأ الحوار القومى الإسلامى فى مواجهة الأخطار المشتركة من العدوين التقليديين لهما، الاستعمار والصهيونية. فالإيديولوجيتان متكاملتان. الإسلام ثقافة العرب. والعروبة حامل الإسلام الأول قبل باقى الأمم الأخرى فى آسيا وأفريقيا وأخيرا فى الغرب الحديث، أوروبا وأمريكا.

صحيح أن لفظ "قوم" لفظ قرآنى مع ألفاظ أخرى مثل قبيلة وعشيرة ورهط وأناس وشعب. ويعنى قوم مجموعة مترابطة من الناس. ذكر اللفظ ومشتقاته فى القرآن ثلاثمائة وثلاث وثمانين مرة. ويعنى الجماعة الصالحة العالمة المؤمنة الذاكرة العاقلة الموقنة المعاهدة المحبة. وهى خصائص خلقية مثالية وليست عرقية شعوبية. فى حين ذكر لفظ "إسلام" مائة واثنين وأربعين مرة أى الثلث تقريبا.

ولا تعنى القومية العربية وحدها بل أى قومية. فالإسلام التركى قائم على القومية التركية. وكذلك الإسلام الإيرانى أو الهندى أو الصينى أو الأزبكى. وقد يتم توسيع المفهوم القومى على القارى مثل الإسلام الأفريقى، الإسلام الأسيوى، الإسلام الأوروبى. ولا يعنى ذلك تعدد الإسلام من حيث هو مضمون ورسالة بل يعنى فقط فهمه فى ظروف وأطر ومواقف حضارية مختلفة، ويلبى حاجات كل حضارة وشعب. الإسلام القومى حلقة متوسطة بين الإسلام الوطنى والإسلام الأممى طبقا للدوائر الثلاث: الوطن والعروبة والإسلام. وكما نقول فى الاستعمال مصرى وتعنى عربى، فإننا نقول "عربى" وتعنى "إسلامى"، لا فرق بين الوطن العربى وليس العالم العربى، والعالم الإسلامى وليس الوطن الإسلامى. فالإسلام له حامل قومى. حمله العرب كما حمله غير العرب.

العروبة حامل الإسلام الأول. أراد عمر أن يوحد جزيرة العرب وأن يجعلها قصرا على العرب والإسلام. وحديثا جعل بعض القوميين مصر الدولة- القاعدة لتوحيد العرب، والعرب القومية القاعدة لتوحيد الأمة. ليست العروبة عرقا وليست بأب أو أم بل هى اللسان. فكل من تحدث العربية فهو عربى. اللغة تفرض فكرها وثقافتها ورؤيتها للعالم.

العروبة خاصية للسان والثقافة ممثلة فى القرآن والنبى مبلغه. فقد ورد لفظ "العرب" ومشتقاته فى القرآن واحداً وعشرين مرة لوصف اللسان **﴿وهذا لسان عربى مبين﴾**، والقرآن **﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾** وهى أكثر الاستعمالات (ثمانية مرات)، والحكم أى الشريعة أى الطبيعة والفطرة العربية. أما "الأعراب" فلها معنى سلبى بمعنى البدو فى الاستعمال التداولى الحديث، يتميزون بالكفر والنفاق والتخلف عن المعركة. وهو اللفظ الأكثر استعمالا (عشر مرات) وكأنه يصف سلوك بعض الأعراب المحدثين.

وهناك أمم قبلت العروبة والإسلام مثل مصر، وأخرى قبلت الإسلام دون العروبة مثل الأمم القومية، إيران وتركيا. ويمكن اعتناق الإسلام دون اللغة مثل الأمم الإسلامية فى آسيا قديما وفى الغرب حديثا إلا فى أقل القليل لأداء شعائر الصلاة. ويمكن لأمم أخرى أن تبقى العروبة دون الإسلام مثل النصارى العرب. وهم أولاد عمومة لا تُقبل منهم الجزية. تتعدد اللغات الوطنية والثقافات القومية والدين واحد، عكس ما هو حادث حاليا فى الوطن العربى والعالم الإسلامى، اللغة واحدة، الفرانكفونية أو الأنجلوفونية التى تضم لغات وطنية وثقافات قومية متعددة مثل الأفريقى أو الأسيوى الذى لغته الفرنسية أو الإنجليزية.

توجد عروبة واحدة كهوية متصلة عبر التاريخ ذات عادات وثقافات ولهجات متعددة. لهجات العرب وزيهم وطعامهم وعاداتهم وتقاليدهم تتغير بتغير الشعوب العربية. أما هوية الشعب العربى فى اللغة والثقافة واحدة. وهناك عادات لشعب انتشرت لدى شعوب أخرى مثل غطاء الرأس حماية من الحر أو غطاء الوجه حماية للرمال. تنتشر فى مجموع الصحراء العربية فى شبه الجزيرة لتشابه الظروف الجغرافية. و"الأرابيسك" فن أوزبكى انتشر بانتشار الإسلام لأنه فن مجرد يحافظ على التنزيه، ولا يقع فى التشبيه.

أصبحت القومية العربية أحد روافد الفكر السياسى العربى الحديث وإحدى أيديولوجياته السياسية المنتشرة فى الشام والعراق وعلى أطراف الجزيرة العربية فى الخليج واليمن. وحكمت فيها. أخطأت وأصابت، قهرت وحررت، وكونت الوجدان العربى الحديث بانتصاراته وهزائمه. وأصبحت جزءا من الأناشيد الوطنية "وكل بلاد العرب أوطان"، عدنان وقحطان، لبنان وتطوان، من الخليج الثائر إلى المحيط الهادر. وظهر مفكرون قوميون مثل ساطع الحُصرى ونديم البيطار. وأنشئت أحزاب قومية رائدة مثل حزب البعث العربى الاشتراكى. وقامت ثورات

عربية مثل الثورة العربية الكبرى. وأنشئت تجارب عربية وحدوية مثل "الجمهورية العربية المتحدة". وقامت مجالس تعاون بين أكثر من قطر عربى. وتأسست الجامعة العربية بيتا للعرب.

وأمام مخاطر التفتيت والتجزئة للأمة إلى دويلات عرقية عربية وكردية وبربرية وتركمانية وزنجية، وطائفية سنية وشيعية ومارونية وقبطية وإسلامية حتى تصبح إسرائيل أكبر دولة عرقية طائفية يهودية فى المنطقة، يساهم الإسلام القومى فى الحفاظ على الوحدة العربية باسم القومية العربية. فقد خسرت الأمة الوحدة الإسلامية ممثلة فى نظام الخلافة فى ١٩٢٤ لصالح القومية العربية. ثم خسرت القومية العربية عدة مرات بعد هزيمة يونيو- حزيران ١٩٦٧ وحربى الخليج الأولى عام ١٩٨٠ والثانية عام ١٩٩٠ لصالح القطرية. والآن تخسر القطرية لصالح الدويلات العرقية والطائفية.

والمقصود من تفتيت المنطقة عزل مصر من محيطها العربى، ونزع القلب من الأطراف حتى تلتهم القوى الكبرى الأطراف شرقا وغربا. وفى عصر التكتلات الكبرى مثل العولمة أو التجمعات الإقليمية مثل الاتحاد الأوروبى فإن تجمعا عربيا يضم أكثر من مائتين وخمسين مليونا من العرب، تحوط به دول الجوار إيران وتركيا يمثل ثقلا دوليا يحمى الأقطار من الاندثار. له جناحه الشرقى فى آسيا، والشمالى فى تركيا، والغربى فى أوروبا، والجنوبى فى أفريقيا. يربط بين القارات الثلاث، أفريقيا وآسيا وأوروبا. ويكون ميزان الثقل فى العالم الجديد كما كان قديما فى الفترة الإسلامية الأولى. ويرث أوروبا بعد أن فقدت استقلالها بتبعيتها للولايات المتحدة الأمريكية. حينئذ ينسى العالم صور الإرهاب والعنف والتخلف والقسوة والتسلط. ويحيى ذكرى غرناطة وقرطبة وإشبيلية وطليطلة. ويبقى تاج محل وقصر الحمراء من عجائب الدنيا.

١٣- الإسلام الأممى

والإسلام كما هو معروف لا يعرف حدود الأوطان أو الأعراق. فهو أيديولوجية أممية لمجموع المسلمين تحت لواء "الأمة الإسلامية". وهى أمة لا تتكون فقط من المسلمين بل من جميع المؤمنين بأديان أخرى داخل الأمة الإسلامية مثل أهل الكتاب، اليهود والنصارى، والصابئة، والمجوس، وقياسا عليه أضاف القاضى عبد البر "عبدة الأوثان". ويمكن إضافة الديانات الأسيوية الأخرى كالهندوكية، والبوذية والتاوية والكونفوشيوسية. الأمة الإسلامية أمة متعددة الأعراق والديانات. ولا تتكون فقط من المسلمين. والكل متساوون فى الحقوق والواجبات. وعلى هذا الأساس أقيم "ميثاق المدينة". وهو أشبه بحلف الفضول الذى وقعه الرسول قبل البعثة لنصرة المظلوم أيا كان ضد الظالم أيا كان. وله صياغاته الحديثة فى الدول الفيدرالية أو الكونفيدرالية أو الاتحادات مثل الاتحاد الأوروبى قولا وعملا، والاتحاد الأفريقى قولا، ومثل التجمعات الإقليمية، "الآسيان" فى جنوب شرق آسيا أو "النافتا" فى أمريكا الجنوبية أو "منظمة شمال الأطلنطى" فى أوروبا أو "الاتحاد السوفيتى" فى آسيا.

الأمة الإسلامية واقع تجسده بعض المنظمات مثل "منظمة المؤتمر الإسلامى" بالرغم من عدم فاعليته وارتباطه بسياسات حكوماته. وتقوم على الإحساس بالإخوة بين المسلمين والتضامن مع بعضهم البعض والدفاع عن مصالحهم المشتركة كما أراد الأفغانى وكما تصور الكواكبى فى "أم القرى". وهى ليست وحدة خيالية.

مثلها مثل الأممية الاشتراكية، والعولمة الرأسمالية وتعييناتها المختلفة فى الشركات المتعددة الجنسيات، ومجموعة الثمانية الأكثر تصنيعا والقائمين بالفعل ولا يعتبرهما أحد من صنع الخيال. هى وحدة التاريخ والثقافة، انعكاس التوحيد على البشر "كلكم لآدم وآدم من تراب"، وخلق البشر جميعا من نفس واحدة.

ولا تعنى الأمة الإسلامية بالضرورة نظام الخلافة المركزى فى المدينة أو دمشق أو بغداد أو القاهرة أو استانبول بل يعنى وحدة المصالح والهدف والمصير. وتتعدد الصيغ السياسية لتحقيق ذلك ابتداء من الدولة الوطنية القوية أو مجالس التعاون بين جارتين أو عدة جارات أو مجالس التعاون الإقليمى الذى يضم أكثر من دولة أو جامعة إقليمية عربية مثل جامعة الدول العربية أو منظمة المؤتمر الإسلامى أو تجمعا شرقيا يضم آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية مثل دول عدم الانحياز والعالم الثالث، والتضامن الأسيوى الأفريقى دون قفز على الدولة الوطنية أو التجمعات الإقليمية فى إطار من نظرية الدوائر الثلاث: الوطن والعروبة والإسلام.

ومن الطبيعى لا يلغى الإسلام الأممى الواحد الخصائص القومية للشعوب. فهناك الإسلام الأسيوى القادم بعد أن تعب العرب من حمله على مدى أربعة عشر قرنا. الإسلام فى إيران وتركيا وماليزيا وأندونيسيا والجمهوريات الإسلامية فى أواسط آسيا. وهو القوة السياسية الوحيدة الفعالة فى باكستان وأفغانستان. وهو من حيث السكان أكبر تجمع إسلامى من الإسلام الأفريقى أو الإسلام الأوروبى أو الإسلام الأمريكى شمالا وجنوبا. ويقوم على الإيمان الشديد وعلى التوحد بالأعراق والمذاهب والطوائف والقبائل. تغلب عليه المحافظة الدينية والممارسات الشرعية الصورية. يمارس العنف أحيانا إذا ما ضاق بالنظم السياسية التابعة للغرب.

وهناك الإسلام الأفريقى. يغلب عليه الشخصية الأفريقية والثقافة الأفريقية والفن الأفريقى بل وبعض أشكال السحر الأفريقى والخرافات والأساطير الأفريقية كثقافة شعبية. يغلب عليه الطابع الصوفى. فقد انتشر على أيدى الطرق الصوفية، الأذكار والأوراد والسماع الذى يتفق مع الرقص الأفريقى. ويتعامل مع الوسائط وأشكال التبرك والأحجبة والطب النبوى كما هو شائع فى أفريقيا. ويزداد الجانب الشعائرى فى الوضوء والصلاة والصوم والحج للحصول على لقب حاج. وسعيد بنظام تعدد الزوجات المتفق مع العادات الأفريقية فى العائلة الكبيرة والمنزل الكبير حيث يعيش الجميع فى وئام وسلاك طبقا لنظام عادل. أصبح الاستثناء هو القاعدة والقاعدة هو الاستثناء. تكثر فيه المظاهر الاحتفالية بالمناسبات والأعياد خاصة المولد النبوى وموالد الأولياء والقديسين طبقا للعادات الأفريقية. يقوم على الترابط الاجتماعى ونظام القرابة واحترام الجار. وينأى بنفسه عن الصراعات القبلية والعرقية وإن كان أحيانا يجعل من تطبيق الشريعة الإسلامية أحد أسباب التوتر الذى قد يصل إلى حد الصراع بين المسلمين والمسيحيين، بين الشمال المسلم والجنوب المسيحى كما هو الحال فى السودان ونيجيريا أو الجنوب المسلم والشمال الأفريقى مثل الفلبين أو البوذى كما هو الحال فى تايلاند وبورما.

وهناك الإسلام الأوروبى الذى تغلب عليه أيضا الشعائرية للتأكيد على الهوية الجديدة للمسلم الأوروبى، الذقن والجلباب، وغطاء الرأس، ورفض العادات الغربية فى العرى والحرية الجنسية. كما يرفض القيم الأوروبية مثل المادية والإلحاد ومظاهر الحياة الآلية فى الصناعة والاستهلاكية فى الاقتصاد. يغلب عليه التصوف والروحانية الزائدة كرد فعل على ما يسود الغرب من علم وحداثة.

وهناك الإسلام العربى، سماحته وبساطته وواقعيته وأخلاقه العملية وعقلانيته وإصلاحيته وإنسانيته. وما عرض له فى المدة الأخيرة من صورية

وشعائرية إنما هو وارد من شبه الجزيرة العربية من العمالة المهاجرة اليدوية والذهنية. والعنف الملتصق بالحركات الإسلامية إنما هو عنف سياسى لجماعات سياسية ضد نظم الحكم القائمة على القهر فى الداخل والتبعية فى الخارج.

الإسلام الأممى لا يمنع التعددية فى الفكر والممارسة. فالإسلام قادر على التأقلم مع ثقافات الشعوب وعاداتها مع إكمالها وتطويرها للإثراء المتبادل والتعلم المشترك. يقوم على الوحدة والتنوع، وحدة العقيدة وتنوع مظاهر تعبيرها. لذلك لا يقتتل المسلمان. القاتل والمقتول مدانان. القاتل لأنه قتل بالفعل، والمقتول لأنه كان حريصا على قتل صاحبه. فدم المسلم وماله وعرضه حرام لا يجوز انتهاكه. والصلح بين المتخاصمين خير حتى يفىء الجميع إلى الحق والعدل دون العدل والظلم. والتاريخ شاهد على ذلك من الأندلس حتى الصين بالرغم من الاستثناءات هناك وهناك.

١٤- الإسلام العلمانى

العلمانية لها معنى سىء فى ثقافتنا المعاصرة. فهى ضد الدين، وقرينة الإلحاد والمادية والإباحية، وربما الكفر والفسوق والعصيان. وتعنى عند الحركة الإسلامية فصل الدين عن الدولة وهو ضد ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾، ومرة أخرى ﴿**الفاسقون**﴾، ومرة ثالثة ﴿**الضالون**﴾. كما تعنى فصل الدين عن مظاهر الحياة الأخلاقية والقانونية والسياسية، والوقوع فى الأخلاق النسبية المتغيرة والشريعة الوضعية التى أحيانا تحل الحرام كالخمر والشذوذ الجنسى، والسياسة البشرية التى تقوم على المصالح وصراع القوى. الدين علاقة خاصة بين الإنسان والله "علاقة رأسية" فى حين أن القانون علاقة عامة "علاقة أفقية" بين المواطن والمواطن. لذلك رفعت العلمانية شعار "الدين لله والوطن للجميع". ومن ثم أصبح من الصعب من الناحية التداولية استعمال لفظ "علمانى".

ومع ذلك الإسلام دين "علمانى" فى جوهره. إنما جاء الخلط بين العلمانية "الغربية" والعلمانية "الإسلامية" وإسقاط ظروف الأولى على الثانية. فقد نشأت العلمانية الغربية بمعنى الفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية أى بين الكنيسة والدولة نظرا لنشأة المآسى والمذابح من الجمع بينهما فى شخص البابا رئيس الكنيسة والدولة أو فى شخص الإمبراطور رئيس الدولة والكنيسة. وكان صراعا على المصالح والأرض فى عصر الإقطاع. وكان الحل الوحيد الباقى هو الفصل بين السلطتين الدينية والسياسية وإن تعايشا معا كما هو الحال فى دولة الفاتيكان فى روما عاصمة الجمهورية الإيطالية. وانتقل كلاهما إلى العمل فى الخارج وليس

فى الداخل، فى التبشير والاستعمار خارج أوروبا وليس فى الصراع على السلطة والحدود داخلها.

وبدأت العلمانية الغربية بوضع أسس معرفية جديدة، البداية بالعالم وليس بالنص، والاعتماد على العقل وليس الإيمان، والاتجاه نحو الطبيعة بعيدا عن ما بعد الطبيعة، والتحول من التمركز نحو الله إلى التمركز نحو الإنسان، والتفكير فى البدن وليس فى النفس، والاتجاه نحو الجديد وليس القديم، والاستعداد للمستقبل على هذه الأرض وليس نكوصا نحو الماضى خارجها. العقل تجاه الطبيعة ينتج العلوم الطبيعية، ومع المجتمع ينتج العلوم الإنسانية. وانتهت سلطة القدماء، أرسطو وبطليموس والكنيسة إلى سلطة المحدثين، جاليليو وكبلر ونيوتن فى العلم، وبيكون وديكارت فى الفلسفة، ولوثر وكالفن فى الدين. وخرجت الثقافة الغربية خارج حدودها بعد سقوط غرناطة فى ١٤٩٢، وتصدر أوروبا مركز العالم بدلا من العالم الإسلامى. انتهى العصر الوسيط كما انتهى العصر القديم اليونانى الرومانى من قبل، والعصر الإسلامى من بعد. وبدأ العصر الحديث وشعار الحداثة التى تُدمر الآن فيما بعد الحداثة..

وهى ظروف مختلفة عن ظروف العالم الإسلامى. فالإسلام ليس به سلطة دينية إلهية مثل الكنيسة أو البابا. وليس به سلطة سياسية تقوم على الاختيار الإلهى "الثيوقراطية" أو على الوراثة كما هو الحال فى النظام الملكى. السلطة فى الإسلام للعلم والعلماء وعلوم الدنيا. والعلماء هم أهل الاختصاص، علماء الاقتصاد والسياسة والاجتماع والعلاقات الدولية، "أنتم أعلم بشئون دنياكم". التمييز إذن بين رجال الدين ورجال السياسية تمييز فى ظروف نشأة العلمانية الغربية وليس فى ظروف نشأة الإسلام. بل إن الإسلام مثل البروتستانتية فيما بعد بدأ ضد رجال الدين من اليهود والنصارى، الأحبار والرهبان، الذين استغلوا الدين للمصالح الشخصية ولتبرير السلطة السياسية للملوك والأباطرة. الإسلام دين إصلاحى. تعلم

من التجارب السابقة، من تجربة موسى وداود وسليمان فى اليهودية، ومن الصراع بين النصرانية والإمبراطورية الرومانية فى المسيحية.

الإسلام دين يقوم على العقل والواقع ومصالح الناس والقاسم المشترك للبشر جميعا. مُثل التنوير التى يعتز بها، العقل والعلم والطبيعة والإنسان والحرية والإخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية والتقدم جزء منه، وأسس يقوم عليها كما قررت الحركات الإصلاحية المعاصرة.

التوحيد ليس عقيدة تتجاوز العقل مثل التثليث، بل هو توحيد الذات الإنسانية وطاقاتها الداخلية والخارجية ضد مظاهر الازدواجية مثل النفاق والرياء وانفصام القول عن العمل، وتوحيد المجتمع ضد التفاوت الطبقى بين الأغنياء والفقراء، وتوحيد البشرية ضد مظاهر العنصرية والتمييز بين الأقوياء والضعفاء وسياسة الأقطاب، والتفرقة بين المراكز والمحيط. والشريعة لها مقاصد خمسة، ضروريات للحياة الإنسانية: الحياة والعقل والقيمة (الدين)، والكرامة (العرض)، والثروة (المال). وهى أسس "علمانية" خالصة. والشريعة الإسلامية وضعية تقوم على أسس فى العالم، ومكونات السلوك البشرى. والأحكام الشرعية لها أسباب وعلل وشروط. والاجتهاد مصدر رئيسى للتشريع بعد الإجماع لتجديد فهمها طبقا لظروف كل عصر، "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". والمصلحة أساس التشريع، "ما رآه المسلمون حسن فهو عند الله حسن".

النظام الإسلامى نظام مدنى خالص. والدولة الإسلامية دولة علمانية بهذا المعنى الإسلامى. نظامها السياسى يقوم على البيعة العامة، اختيار الناس للرئيس "الإمامة عقد وبيعة واختيار". والرئيس ليس نائبا عن الله أو ابنا للملك بل هو نائب عن الشعب. ونظامها الاقتصادى يقوم على الملكية العامة لوسائل الإنتاج الزراعى

والصناعى وليس الخدمات، "الناس شركاء فى ثلاث، الماء والكلأ والنار". ونظامها الاجتماعى يقوم على تذويب الفوارق بين الطبقات وعلى إقامة مجتمع العدل والمساواة "ليس منا من بات جوعان وجاره طاو". ونظامها الإعلامى يقوم على حرية الرأى وضرورة الرقابة على جهاز الدولة. فالحسبة هى الوظيفة الرئيسية للحكومة. الدين النصيحة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على كل عالم قادر.

فأين الخلاف بين الإسلام والعلمانية؟ إنه مجرد صراع على السلطة بين تيارين رئيسيين وقوتين سياسيتين وجناحين متصارعين فى الدولة، أيهما يخلف النظام القائم، نظام التبعية للخارج، والفساد والقهر فى الداخل؟ والدولة سعيدة بها وتؤججه، تضرب هذا الفريق بالفريق الآخر مرة ثم تضرب هذا الفريق الآخر بالفريق مرة أخرى حتى يضعف الجناحان، ويبقى القلب، وتفتت المعارضة، ويقوى الحزب الحاكم لغياب البديل.

اليسار الإسلامى يسار علمانى. ويعلن ذلك على الملأ نظرا وعملا ضد الكهنوت الدينى والتسلط السياسى. وهو ليس مثالا بعيد المنال أو رؤية طوباوية أو هدفا صعب التحقيق. فالتجربة التركية والتجربة الماليزية ماثلتان للأذهان. اليسار الإسلامى هو الطريق الثالث بين السلفيين والعلمانيين، بين المحافظين والمجددين، بين القدماء والمحدثين. ولقد اقتربت بعض التيارات الإسلامية من ذلك بالبرامج السياسية الجديدة التى قدمها الإخوان فى مصر والأردن وسوريا ولبنان واليمن. فالإسلام دولة مدنية تقوم على التعددية السياسية. فهل يستطيع العلمانيون تغيير أنفسهم وتخفيف عدائهم لبعض الأجنحة الليبرالية فى التيار الإسلامى لإنقاذ أنفسهم من تلميع نظم الحكم والتعاون معها على مواجهة الإسلاميين كهدف مشترك بدلا من التعاون والحوار معهم فى جبهة وطنية واحدة ضد نظم الفساد والتبعية والطغيان؟

١٥- اليسار الإسلامى، اعتراضات وردود

وبالرغم من هذه المداخل الواضحة لليسار الإسلامى وعرض أوجهه المختلفة إلا أن تجربة ربع قرن من محالات تأسيسه لم تمنع من توجيه بعض الاعتراضات الرئيسية عليه. وهى شبهات تثار من الأحزاب السياسية الدينية والعلمانية، المحافظة والتقدمية، ومن الدولة ومؤسساتها الدينية، ومن الأفكار الشائعة نتيجة للإعلام المزيف وما تعود عليه الناس من تقليد لما هو سائد دون التفكير الأصيل. إذ يقال على اليسار الإسلامى:

١- ليس فى الإسلام يسار ويمين. الإسلام دين واحد، جوهره واحد، وعقائده ثابتة :الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، خيره وشره. كبائره معروفة وصغائره محصاة. لا تختلف العبادات من قطر إلى قطر، ولا من قارة إلى قارة، ولا من شعب إلى شعب، ولا من ثقافة إلى ثقافة. شهادة أن لا إله إلا الله على كل لسان. ينطقها المسلم ليعلن انتماءه وانتسابه إلى الأمة. وهذا صحيح نظرا، ولكن عملا تتعدد القراءات والممارسات الإسلامية خاصة فى المعاملات والعادات. يشير اليسار الإسلامى إلى إحدى القوى الاجتماعية الموجودة فى المجتمع، الفقراء والمحرومين والمساكين والطبقات الدنيا فى مقابل إسلام الأغنياء وشركات توظيف الأموال ورجال الأعمال وموائد الرحمن وبيوت الزى الإسلامى. ففى كل مجتمع هناك يسار ويمين، فقراء وأغنياء، طبقة دنيا وطبقة عليا. اليسار الإسلامى سياق اجتماعى سياسى تاريخى للإسلام فى مرحلة تاريخية معينة وفى عصر معين ولدى شعب معين، فى مرحلة تفاوت الدخول فى عصر النفط. وكما أن هناك تمايزا بين

المذاهب الفقهية الأربعة والاتجاهات الفلسفية والفرق الكلامية والطرق الصوفية هناك تمايزا أيضا فى تفسير الإسلام طبقا لحاجات الناس وطبقاتهم الاجتماعية التى تتغير بتغير الزمان والمكان، وكما فعل الشافعى بين العراق ومصر.

٢- اليسار الإسلامى نزعة توفيقية وأحيانا تلفيقية بين نزعات عدة تجمع بين عدة متناقضات. هو مشروع مستحيل مثل "الثلج المقلى"، يرفضه اليسار واليمين، فاليسار علمانى لا دينيا، واليمين دينى لا علمانيا. والحقيقة أن هذه الشبهة إنما تنتج من عقلية الاستقطاب بين مطلبين كلاهما صحيح، القديم والجديد، الماضى والحاضر، التراث والمعاصرة، الأصل والفرع، الآخرة والدنيا. وكل سمات اليسار الإسلامى مطالب فعلية للعصر فهو إسلام مستنير لحاجة العصر إلى العقلانية والاستنارة كما عبر عن ذلك بعض المفكرين العرب المعاصرين مثل محمد عبده ومصطفى عبد الرازق وطه حسين. وهو إسلام ليبرالى لحاجة العصر إلى الحرية كما عبر عن ذلك الطهطاوى والعقاد والشرقاوى، وهو إسلام اشتراكى جماعى لحاجة العصر للعدالة الاجتماعية والمساواة كما عبر عن ذلك مصطفى السباعى فى سوريا وسيد قطب فى مصر، وهو إسلامى قومى كما هو الحال عند منير شفيق وخلف الله ومحمد عمارة نظرا لمخاطر التجزئة والتفتيت للأقطار بعد أن قضى على الخلافة لصالح القومية العربية فى ١٩٢٣ ثم قضى على القومية لصالح القطرية بعد حربى الخليج الأولى والثانية، ثم قضى على القطرية لصالح الطائفية والمذهبية والعرقية والعشائرية والقبلية بعد العدوان الأمريكى على العراق فى ٢٠٠٣، والحرب الأهلية فى لبنان وإبراز قضية السودان شمالا وجنوبا فى الجنوب، وشرقا فى دارفور. وهو إسلام إنسانى كما عبر عن ذلك العقاد وغيره نظرا لخرق حقوق الإنسان فى عصرنا وتعذيب المعتقلين السياسيين بالآلاف. وهو إسلام تقدمى كما هو الحال فى تونس نظرا لتصنيف الشعوب العربية والإسلامية ضمن الدول المتخلفة أو النامية. وهو

إسلام طبيعى يبدأ من العالم والناس نظرا لغلبة العقائدية القطعية والنصية الحرفية مثل أحمد كمال أبو المجد وسليم العوا. وهو إسلام وطنى مثل طارق البشرى نظرا للهويات الطائفية السائدة الآن وتوارى الأوطان. وهو إسلام أممى مثل عادل حسين نظرًا لما فعلته الحدود الوطنية من تجزئة وتقسيم ومعارك حدودية ونزاعات بين القبائل على طرفى الحدود على الثروات الطبيعية. وهو إسلام علمانى مثل أحزاب الوسط نظرا لسيادة النزعات الدينية المعادية لقيم العقل والحرية والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان وهى قيم إسلامية أصيلة تجلت فى التراث الإسلامى. وهو إسلام عملى حركى مثل بعض الأجنحة المستنيرة فى الحركة الإسلامية نظرا لسيادة الخطاب الدينى النظرى الوعظى الذى يدخل فى أذن ويخرج من الأذن الأخرى.

٣- اليسار الإسلامى نزعة مادية وتيار ماركسى شيوعى إلحادى. لا يهتم بالغيب ولا بالحياة بعد الموت إلى آخر ما هو معروف من أمور المعاد. والحقيقة أن هذه هى صورة نمطية للإسلام منذ العصر العثمانى، تغليب الآخرة على الدنيا، والنفس على البدن، والله على العالم. وهو ما قاومته حركات الإصلاح الدينى الحديثة. فالتراث الإسلامى قام على أساس الاهتمام بالعالم. يبدأ علم الكلام وهو علم العقائد بالعالم أولا للاستدلال به على وجود الله. ويتحدث الفلاسفة عن الطبيعيات كمقدمة للإلهيات. ويدافع بعض الصوفية عن وحدة الوجود، الجمع بين الحق والخلق. ويقوم علم أصول الفقه على تعليل الأحكام الشرعية بالعلل المادية ليقيس عليها أحكام الوقائع الجديدة.

٤- اليسار الإسلامى تيار غربى يقلد "لاهوت التحرير" فى المسيحية خاصة. والحقيقة أن اليسار الإسلامى استئناف لحركات الإصلاح التى أسسها الأفغانى وإقبال وتطويرها كى تصبح أكثر جذرية وقدرة على التأثير فى العالم وإصلاح

المجتمعات وتأسيس نهضة الشعوب. وقد سبقت الديانات الأخرى مثل المسيحية والبوذية الإسلام فى وضع أسس "لاهوت التحرير" المعاصر فى تحقيق المشاريع القومية فى الحرية والعدالة، والاستقلال والتنمية ابتداء من تراثها. كان القدماء منتصرون على الأرض فصاغوا العقائد النظرية. ونحن منكسرون على الأرض فى فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير، وكلها تحت الاحتلال المباشر، ومازلنا نتحدث عن عذاب القبر ونعيمه، ونكر ونكير، ونواقض الوضوء وحلق عانة الميت، وإرضاع الكبير. كما أن هذا الشبهة تعطى النفس أقل مما تستحق، وتعطى الغرب أكثر مما يستحق. وترجع كل تقدم وإبداع عند الأنا إلى منابعه ومصادره عند الآخر وكأن الأنا أصبح عقيما رضى بأن يكون تلميذا إلى الأبد، والآخر هو المبدع والمعلم. ولقد استطاع الإسلام فى الماضى القيام بنهضة من الداخل وتأصيله فى إبراهيم ولم يرغضاضة فى التعامل مع الحضارات المجاورة، يونانية ورومانية غربا، وفارسية وهندية شرقا، والآن أوروبية شمالا، وأفريقية جنوبا.

٥- اليسار الإسلامى خلط بين الدين والسياسة، يرغب فى الوصول إلى الحكم. هو مجرد توزيع أدوار داخل الحركة الإسلامية التى مازالت تسعى للوصول إلى السلطة. اليسار الإسلامى مجرد واجهة إعلامية مستنيرة تقوم بدور الغطاء النظرى للحركات الإسلامية المحافظة التى تمارس العنف بل والإرهاب. والحقيقة أن الإسلام لا يفرق بين الدين والسياسة كما يفعل الغرب نظرا لظروف الكنيسة فى صراعها مع الدولة. الإسلام يطبق المثال فى الواقع، وملكوت السماوات الذى عرفته المسيحية فى ملكوت والأرض الذى عرفته اليهودية. يحول النظر إلى عمل، والفكر إلى ممارسة. هدفه تحقيق التقدم والتغير الاجتماعى من خلال التواصل وليس من خلال الانقطاع حتى لا يحدث رد فعل إلى القديم من جديد كما حدث فى الغرب. الإسلام هو اللحظة الثالثة فى تطور العلاقة بين الدين والسياسة بعد اللحظة الأولى

تغليب السياسة على الدين فى اليهودية، واللحظة الثانية، الفصل بين الدين والسياسة فى المسيحية. اليسار الإسلامى تيار معارض. ينقد النظم السياسية القائمة على التبعية للخارج، والقهر والفساد فى الداخل. وينقد المؤسسة الدينية التابعة للدولة والمبررة لقراراتها فى الحرب والسلم، فى الاشتراكية والرأسمالية بنفس الرجال ونفس الفتاوى. الإسلام دين ليس به رجال دين أو كنيسة أو سلطة دينية إلا سلطة العلم. يفك الحصار عن المعارضة العلمانية بأنها ضد الدين. ويخفف من عداء الحركات المحافظة للأيديولوجيات العلمانية، ليبرالية وقومية واشتراكية وماركسية وإسلامية مستنيرة، كما هو الحال فى تركيا وماليزيا. وينقد نفاق الإعلام الرسمى واستخدام الدين لصالح الحزب الحاكم.

٦- التيار الإسلامى يرفضه الناس لأنه يمس عقائدهم الشعبية. هو تيار نخبوى يسهل حصاره من اليمين واليسار والدولة. هو عند اليمين الدينى شيوعية وإلحاد مقنعان. وعند التيار العلمانى إسلامى مقنع، وفى أجهزة الدولة الأمنية اليساريون الإسلاميون "إخوانيون شيوعيون" كما اتهم الشاه من قبل فصائل الثورة الإسلامية مثل "مجاهدى خلق". هو غير مؤثر، أقلية معزولة أمام الأغلبية الطاغية للحزب الحاكم. والحقيقة أن الاتصال المباشر بين اليسار الإسلامى والجماهير يدل على قدرته على التعبير عن الأغلبية الصامتة، عن الوسط بين الجناحين السلفى والعلمانى. يريد المحافظة على الشرعيتين فى نفس الوقت، الإسلام والعالم، الدين والثورة. ليس حريصا على السلطة والحكم بل هو للحفاظ على وحدة الأمة فى مسارها التاريخى، "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها".